المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

ائتلاف اللفظ مع المعنى
في الأربعين النووية دراسة بلاغية تحليلية

The Coalition of Expression and Meaning in Al-Arba'een Al-Nawawiyyah: An Analytical Rhetorical Study

إعداد

أ/ سارة عبد الحميد عبد الإله جوهر

باحثة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الانسانية،
جامعة طيبة ـ المملكة العربية السعودية

د/ بدر عبد العال حسين محمد

أستاذ البلاغة المشارك سابقا في كلية الآداب والعلوم الانسانية
(قسم اللغة العربية) في جامعة طيبة ـ المملكة العربية السعودية

الجزء السادس (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

ائتلاف اللفظ مع المعنى في الأربعين النووية دراسة بلاغية تحليلية

سارة عبد الحميد عبد الإله جوهر ، بدر عبد العال حسين محمد

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Sgohar2016@hotmail.com

الملخص

هدفت الدراسة الاهتمام بجانب من جوانب البلاغة ربما يكون غائبًا_ إلى حد كبير_ عن الدرس البلاغي لأن الائتلاف تجده أكثر حضورًا في الدراسات البلاغية في العصر الحديث، إذ لم يلق اهتمامًا مناسبًا يليق بأهميته. كما ظهرت الحاجة إلى دراسة كل فن من فنون البلاغة على حدة والوقوف عليه طويلًا ليتسنى لنا إدراك خفاياه التي لم تعد حاضرة في الأذهان كالسابق. أما منهج البحث الذي اعتمدته فهو منهج الاستقراء والتحليل لأن الهدف هو تقصي مواطن الجمال البلاغي واللمسات الفنية للائتلاف في أحاديث الأربعين النووية، فكان لزامًا على الباحثة اتباع هذا المنهج وذلك من خلال استقراء حيثيات المادة من مظانها وتحليل مادتها والغايات التي توصل إليها. والخطة التي سار البحث عليها، هي تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث. المبحث الأول تمهيد تحدثت فيه عن مفهوم الائتلاف وقيمته البلاغية، والمبحث الثاني ذكرت نبذة عن الأربعين النووية التي كانت مجال التحليل للائتلاف، والبحث الثالث فقد جعلتُ ائتلاف اللفظ مع المعنى عنوانًا له وأدرجتُ تحته خمسة مطالب: المطلب الأول المساواة، والمطلب الثاني الجناس، والمطلب الثالث الإرداف، والمطلب الرابع المثل، والمطلب الخامس الإشارة. وبعد الانتهاء وضعتُ خاتمة تحوي كل ما توصلتُ إليه من نتائج وتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الائتلاف، الأربعين النووية، المساواة، الجناس، الإرداف، المثل، الإشارة.

The Coalition of Expression and Meaning in Al-Arba'een Al-Nawawiyyah: An Analytical Rhetorical Study

Sara Abdulhameed Abdulelah juhar*, Badr Abdul'Aal Hussein Mohammed
Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Taibah University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: Sgohar2016@hotmail.com

Abstract

This study aims to explore an aspect of rhetoric that may be largely overlooked in rhetorical studies, namely the coalition of expression and meaning. Despite its significance, this aspect has not received adequate attention in rhetorical analysis, especially in modern times. There is a need to individually study each art of rhetoric in order to grasp its hidden intricacies that are no longer prevalent in people's minds as they once were. The research methodology employed in this study is based on inductive and analytical approaches. The objective is to investigate the aesthetic qualities and artistic touches of the coalition of expression and meaning in the forty Hadiths of Al-Nawawi. Thus, the researcher adopted this methodology by examining the context, analyzing the content, and determining the objectives attained by these Hadiths. The research plan is divided into three sections. The first section provides an introduction that discusses the concept and rhetorical value of the coalition of expression and meaning. The second section provides an overview of Al-Arba'een Al-Nawawiyyah, which serves as the focus of the coalition analysis. The third section explores the coalition of expression and meaning as a central theme and presents five demands: equality, analogy, coherence, simile, and indication. Finally, the study concludes with a summary of the findings and recommendations.

Keywords: Coalition, Al-Arba'een Al-Nawawiyyah, Equality, Analogy, Coherence, Simile, Indication.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله معلم البيان ومنزل القرآن، رب الإنس والجان، والصلاة والسلام على أفضل مخلوق وأعظم إنسان، وبعد ؛

فعلم البلاغة من أعلى العلوم قدرًا، وأعظمها مكانة وشرفًا، هو علم عظيم لا يُلقاه إلا من أوتي علمًا وفهمًا، " وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها من الزمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار[١]" إلا كلام الله في القرآن الكريم وكلام نبيه_ﷺ_ في الحديث النبوي الشريف.

لذا فقد وجدتُ في نفسي رغبة في نيل شرف الدراسة في البلاغة ؛ لأنهل من معين العلماء العظماء، وأرتع في حدائق ورياض أساتذتي الفضلاء، فأقطف من ثمارهم وأستمتع بجمال أزهارهم، لأسهم ولو بقطرة في هذا البحر الزاخر باللآلئ الغالية والجواهر الثمينة.

فهذه دراسة بعنوان " ائتلاف اللفظ مع المعنى في الأربعين النووية دراسة بلاغية تحليلية "ومصطلح الائتلاف يتأرجح بين ثلاثة أوجه متعارضة يدل أولها على أن الائتلاف نوع قائم بنفسه ويختلف تماما عن مصطلح مراعاة النظير، ويدل الثاني على أن الائتلاف مسمى آخر لمراعاة النظير وسأذهب إلى ما هو أبعد من ذلك وهو الوجه الثالث الذي يرى أن مراعاة النظير تشمل الائتلاف، أي أن الائتلاف أحد أوجه مراعاة النظير وهذا ما أرجحه استنادًا إلى أقوال العلماء السابقين مثل ابن أبي الإصبع و كمال الدين عبد الغني المرسي[٢] .

وهذا البحث هو دراسة تمثل اهتمامًا بجانب من جوانب البلاغة ربما يكون غائبًا_ إلى حد كبير_ عن الدرس البلاغي لأن الائتلاف تجده أكثر حضورًا في

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم محمد بن حسن القرطاجني،د.ط، دار المعرفة، د.ت،٢٧.

(٢) مراعاة النظير في كتاب الله العلي القدير، كمال الدين عبد الغني المرسي، د.ط،دار الوفاء، الاسكندرية، د.ت،١١.

الدراسات البلاغية في العصر الحديث، إذ لم يلق اهتمامًا مناسبًا يليق بأهميته _ أعني الائتلاف_ ولا يُعدُّ ذلك إهمالًا من العلماء الذين سبقونا لأنهم كانوا يدرسون البلاغة ككل لا يتجزأ، حيث إن الائتلاف داخل بقوة في التذوق البلاغي فكان يصدر منهم عفو الخاطر وبطريقة لا تحتاج إلى تفسير أو طول تأمل. أما الآن فقد ظهرت الحاجة إلى دراسة كل فن من فنون البلاغة على حدة والوقوف عليه طويلًا ليتسنى لنا إدراك خفاياه التي لم تعد حاضرة في الأذهان كالسابق.

<u>ومما دفعني إلى دراسة الائتلاف عدة أسباب هي:</u>

١- أن المكتبة البلاغية تكاد تخلو من مثل هذه الدراسة المتخصصة فأغلب الدراسات التي تناولت الائتلاف تناولته في النص الشعري وقليل في الأحاديث النبوية .

٢- الحاجة الماسة إلى معرفة وسائل الائتلاف، فقد أضحى مطلبًا أساسًا في كل عملية تحليلية تستوجب الائتلاف حتى يكون في مقدورنا الإفهام والإقناع.

٣- معايشة النصوص النبوية الشريفة، لأنها من مصادر تراثنا العربي المليء باللآلئ القيمة والتي تتطلب من الباحثين جهدًا وطاقة للوقوف على ما فيها من آليات بلاغية متمكنة .

٤- اهتمام بعض البلاغيين بالجانب الشكلي للبلاغة دون البحث عن جوهرها المكنون فيما وراء النصوص، وندرة التحليل التذوقي لما تتضمنه تلك النصوص من أساليب بلاغية في غاية الروعة والجمال للفظ والمعنى والتي لا يمكن التوصل إليها إلا بالتحليل.

<u>ومن الصعوبات والعقبات التي واجهتني في البحث:</u>

من المعلوم أنه ما من باحث قد مر في هذا الطور من الدراسة إلا وحفته الكثير من المتاعب، إلا أننا في هذا العصر ننعم بوسائل اتصال تسهل طرق الحصول على المعلومة ويتبقى على الباحث التوثق من صحة هذه المعلومات ونسبها إلى مصادرها بطريقة علمية بحتة، لأن المعلومات كثيرة ومتيسرة ولكن مصادرها غير موثقة في كثير من المواقع ؛ لذا فإن المصداقية تحتم على الباحث

أخذ المعلومة من مصدرها، كما أنني وجدت بعض المؤلفات التي منحت الائتلاف جانبًا منها إلا أنها لم تكن تطبيقية بقدر ما كانت تنظيرية .

أما الدراسات السابقة فتجدر الإشارة إلى أن موضوع الائتلاف لم يُدرس دراسة بلاغية تذوقية فيما أعلم، وأما الدراسات التي تناولته فكانت تُعنى بالجانب النظري وتكتفي في جانب التطبيق بسرد الشواهد والتلميح أحيانا إلى جمال الشاهد دون التطرق إلى تحليلها، وأنا أؤمن كباحثة أن النص كائن حي يجب أن يُستنطق لأظفر بجواهره، أما الفنون التي يتضمنها الائتلاف كالمثل والعكس واللف والنشر والإطناب والاستطراد وغيرها فقد جاءت فيها دراسات عديدة اتخذتُها وسيلة لبناء هذا البحث الماثل بين أيديكم، لأنني أعلم أن أي بحث علمي لابد وأن يكون حلقة في سلسلة متصلة من الأبحاث، ولا يزعم صاحب البحث أنه الأصل أو المنتهى فهذا البحث مُزج بملايين الأفكار.

ومن الدراسات التطبيقية السابقة:

-المرسي، كمال الدين عبد الغني: مراعاة النظير في كتاب الله العلي القدير، د.ط،دار الوفاء، الاسكندرية، د.ت. لقد حاول المؤلف في هذا الكتاب إثبات مسألة مهمة وهي أن مراعاة النظير تشمل كل ما من شأنه التناسب، حيث درس المؤلف مراعاة النظير في ثمانية أوجه هي: المناسبة أو التناسب، المؤاخاة، الائتلاف، حسن النسق، الانسجام تشابه الأطراف،المشاكلة، اللف والنشر، وكل هذه الأبواب متفرعة عن مراعاة النظير وكل منها يعنى بناحية من نواحي التناسب، بينما دراستي قائمة على التماس الائتلاف بين اللفظ والمعنى وبين المعنى والمعنى وكذلك بين اللفظ واللفظ في فنون علم البديع.

-ائتلاف اللفظ مع المعنى في أحاديث الترغيب والترهيب من خلال كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان دراسة بلاغية تحليلية، سلطان دخيل الله العوفي،رسالة ماجستير، جامعة طيبة، بإشراف محمد محمود البهلول،١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

اقتصرت هذه الرسالة على وجه واحد من أوجه الائتلاف وهو ائتلاف اللفظ مع المعنى،أما دراستي فتشمل أوجه الائتلاف الثلاثة، كما اعتمد الباحث في تبويب البحث على منهج التفسير في التقسيم، بينما كان التبويب في رسالتي قائم على منهج البلاغة، كما أنها اتجهت في طريقة التحليل البلاغي إلى دراسة اللفظ المؤتلف مع المعنى وإدراجه تحت فن من فنون البلاغة ومن ثم الانطلاق نحو الدراسة والتحليل مع التعرض لأنواع أخرى من الفنون البلاغية الأخرى إن وجدت في الشاهد، وفي طريقة تحليل هذا البحث اعتمدتُ على توضيح الفن المراد دراسته و تتبع معاني الشواهد في المعاجم والإشارة إلى بعض الفنون الأخرى التي وردت على سبيل التنويه .

ومن الدراسات النظرية التي تناولت الائتلاف:

– نجار، عبير، ٢٠١٠م، بحث الائتلاف والاختلاف في خطاب سليمان عليه السلام و ملكة سبأ، ذلك الخطاب الذي ورد في سورة النمل، وذكرت الباحثة جوانب الائتلاف التي ظهرت في خطاب هاتين الشخصيتين، كما وضحت نقاط الاختلاف في خطابهما.

وفيما يتعلق بالأربعين النووية فقد كانت مجالا مناسبا للتطبيق في عدة دراسات منها:

– عاصم، محمد غانم، كتاب الأربعين النووية دراسة بلاغية وقد تناول المؤلف هذه الأحاديث الشريفة بتطبيقها على الأساليب البلاغية التي جاءت فيها وتوصل إلى عدد من النتائج التي تتمحور حول إمكانية تطبيق البلاغة على الحديث النبوي للوقوف على اللمسات البلاغية الفنية التي لها أثر كبير على اللفظ والمعنى وبالتالي على المتلقي، بينما دراستي تُعنى بدراسة الائتلاف في الأربعين النووية دراسة بلاغية فاللون البلاغي هنا محدد وهو الائتلاف.

– نجم، محمد، كتاب أحاديث الأربعين النووية دراسة بلاغية في علمي البيان والمعاني، وفي هذه الدراسة عمد المؤلف إلى تطبيق الأحاديث النووية على علمي البيان والمعاني وهي تقترب من دراستي كونها في مجال البلاغة، وتبتعد

عنها في عدم تخصيصها بالائتلاف وهو أحد فنون البديع.

أما منهج البحث الذي اعتمدته فهو منهج الاستقراء والتحليل لأن الهدف هو تقصي مواطن الجمال البلاغي واللمسات الفنية للائتلاف في أحاديث الأربعين النووية، فكان لزامًا على الباحثة اتباع هذا المنهج وذلك من خلال استقراء حيثيات المادة من مظانها وتحليل مادتها والغايات التي توصل إليها، واقتضى هذا المنهج تقسيم البحث على النحو التالي:

جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: فاشتمل على تعريف الائتلاف عند البلاغيين وألوانه وبلاغته.

المبحث الثاني: الحديث عن الأربعين النووية .

المبحث الثالث: ائتلاف اللفظ مع المعنى، ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: المساواة

المطلب الثاني: الجناس

المطلب الثالث: الإرداف

المطلب الرابع: المثل

المطلب الخامس: الإشارة

وأما الخاتمة: ففيها أهم نتائج البحث

المبحث الأول: الائتلاف وقيمته البلاغية:

تعريف الائتلاف: جاء في العين: الألفة مصدر الائتلاف، وإلفك وأليفك الذي يألفك، وتقول قد آلفت هذه الطيور موضع كذا، وهن مؤلفات، أي: لا تبرح [١].

وجاء في لسان العرب: أَلَّفْتَ بين الشيئين تأليفا فتآلفا وأْتَلفا، وفلان قد أَلِفَ هذا الموضع، ويقال أَلَفْتُ أُولِفُه إِيلافًا، وآلفت الظباء الرمل إذا أَلِفَتْه، قال أبو زيد: ألفت الشيء وألفت فلانًا إذا أَنست به.[٢]

والأُلْفَة: اسم من الائتلاف وهي الأنس، وآلَفَت الإبل الرمل: جمعت بين شجر وماء، وقال ذو الرمة:

مِنْ المُؤْلَفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ شُعَاعُ الضُّحَى في مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ[٣]

أي من الإبل التي (ألفت الرمل واتخذته) مألفًا[٤]،فنلحظ أن المادة اللغوية "الائتلاف" تدور حول معنى الأنس، فالذي يألف شيئًا يأنس له ويرتاح إليه، ومن ثم يكون منسجمًا معه، والبلاغيون حين عرضوا لهذا الفن البديعي وافقوا الاستعمال اللغوي – أقصد الألفة والأنس – لأن المعنى إذا كان اللفظ موافقًا، وكان له اللفظ لائقًا، فإنه ينتج عن ذلك الود والأنس، والارتياح والألفة، مما يسهم بشكل فعال في جعل الكلام مناسبًا منسجمًا، لا غرابة فيه ولا اضطراب، قال ابن أبي الإصبع: "وتلخيص معنى هذه التسمية أن ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى" [٥].

---

(١) يُنظر: كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، د.ط، ت: مهدي مخزوم و إبراهيم السامرائي،(بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت، مادة: "أ– ل – ف"،٣٨٦/٨.

(٢) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي،، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ، مادة: " أ – ل – ف"، ١٨٠/١

(٣)، ديوان ذي الرمة، ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، ط١، تحقيق: محمد بن أحمد بسج، (بيروت: دار الكتب العالمية، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م)، ٤٤.

(٤) يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ت: مجموعة من المحققين، (القاهرة: دار الهداية،د.ت) مادة "أ – ل – ف"، ٣١/٢٣.

(٥) يُنظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع، ت: حفني محمد شرف، د.ط، (الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت)، ١٩٤.

وقد قسم البلاغيون هذا الفن البديعي إلى تقسيمات استقوها من صور الكلام وتنوع طرائقه، فذكروا أنه يأتي في أوجه متعددة هي: الوجه الأول: ائتلاف اللفظ مع المعنى، الوجه الثاني: ائتلاف اللفظ مع اللفظ، الوجه الثالث: ائتلاف المعنى مع المعنى، الوجه الرابع: الائتلاف مع الاختلاف[١]،وقد زاد ابن حجة الحموي على ذلك الوجه الخامس: ائتلاف اللفظ مع الوزن، والوجه السادس: ائتلاف المعنى مع الوزن، والوجه السابع: ائتلاف القافية[٢].

وللبلاغيين تحت كل وجه دراسات ونظرات تستحق الدراسة والبحث. إن هذا البحث يُعنى بالوجوه الثلاثة الأولى وهي المتأصلة في الدراسة البلاغية: ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع اللفظ وأخيرًا ائتلاف المعنى مع المعنى، وقد اخترتُ أحاديث الأربعين النووية لتكون مجال التطبيق ؛ وذلك لأبين روعة وسمو البلاغة النبوية من خلال هذا الفن، وتجدر الإشارة إلى أن – تناسب اللفظ مع المعنى – ليس وليد الدراسات البلاغية أو حكرًا على البلاغيين، بالرغم من أنهم رواد هذه الفكرة التي قسموها حتى أصبحت مصطلحًا بلاغيًا بديعًا يُضفي على اللفظ رونقًا وعلى المعنى إبداعًا، إلا أن فكرة التناسب قديمة قبل الجاحظ، فقد ورد في صحيفة بشر بن المعتمر إشارة لطيفة لتوافق اللفظ مع المعنى إذ قال: "ومن أراغ معنى كريمًا فليلتمس له لفظًا كريمًا، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما"[٣]، ويتضح أن بشرًا قد أشار إلى أهمية التناسب والائتلاف بين اللفظ والمعنى.

ومما لا شك فيه أن العلاقة بين اللفظ والمعنى وطيدة، ذلك أن اللفظ كالجسد وروحه المعنى، فكل منهما يستمد قوته من الآخر وبالتالي فإن ضعف أحدهما

---

(١) يُنظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة بن علي العلوي، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ)، ٣/٨٠-٨٣،

(٢) يُنظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين بن علي بن حجة الحموي، ط الأخيرة، ت: عصام شقيو، (بيروت: دار ومكتبة الهلال و دار البحار، ٢٠٤م)، ٢/٤٤٢-٤٤٤.

(٣) يُنظر: البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، د.ط، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ١/١٣٠.

يُسبب ضعف الآخر[١]، ولأهمية هذه العلاقة فقد شغلت قضية اللفظ والمعنى وحقيقة الصلة بينهما علماء اللغة والأدب قديًا وحديثًا، حيث ظهرت جذورها عند اللغويين ففي كتاب سيبويه نجد لمحة عن دلالة الألفاظ ومعانيها، إذ يربط بين المصادر التي على وزن فعلان ومعناها فيقول: " ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد وتقاربت المعاني فيها قولك: النزوان والنقزان، وإنما هذه أشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله العسلان والرتكان ...ومثل هذا الغليان، بأنه زعزعة وتحرك ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه وتثور ومثله الخطران واللمعان، لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثل ذلك اللهبان والصخدان والوهجان لأنه تحرك الحر وثؤوره، فإن ما هي بمنزلة الغليان" [٢]، ويُعد ابن جني من أهم اللغويين الذين أبرزوا العلاقة بين المعاني والألفاظ؛ حيث عقد فيه أربعة فصول في كتابه الخصائص وهي:

أ) تلاقي المعاني على اختلاف الفصول والمباني: وأوضح فيه أن أصل أي اسم ينتهي إلى معناه مثل: الطبيعة قال: وهي من طبعت الشيء أي قررته [٣].

ب) الاشتقاق الأكبر: وأكد فيه أن الكلمات إذا قُلبت أصولها فلا بد أن تشتمل كل منها على معنى مشترك مثل: تقليب كلمة "ج – ب– ر" فهي أين وقعت للقوة والشدة ومنه: جبرت العظم، والجبر الملك[٤].

ج) تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني: ويرى ابن جني أن الحرفين كلما تقاربا في المخرج كلما زاد احتمال اشتراكهما في الدلالة على المعنى مثل: أزَّا بمعنى هزًّا، فالهمزة أخت الهاء، ولذلك يتقارب للفظان لتقارب المعنيين [٥].

---

(١) يُنظر: الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط٥، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الجيل ١٤٠١هـ – ١٩٨١م)، ١/١٢٤.

(٢) يُنظر: الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه، ط٣، ت: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ – ١٩ ٨٨م)، ١٤/٤

(٣) يُنظر: الخصائص، عثمان بن جني الموصلي، ط٤، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)،١١٥/٢.

(٤) يُنظر: المرجع السابق، ١٣٥/٢-١٣٧

(٥) يُنظر: المرجع السابق، ١٤٧/٢-١٤٨

د) إمساس الألفاظ أشباه المعاني: وضَّح فيه ابن جني مدى تأثير البناء الصوتي للفظة على المعنى مثل: خضم وقضم، فالخضم للمأكول من الرطب، والقضم للصلب اليابس(١).

هذا وقد احتدمت المعارك النقدية والأدبية حول فضل اللفظ أم المعنى، فانقسمت الآراء بانقسام مؤيديها فمنهم من قدم اللفظ على حساب المعنى، ومنهم من قدم المعنى،ومنهم من ابتدع معاييرًا للجودة بين اللفظ والمعنى، وقد كان للجاحظ وابن رشيق وابن قتيبة وابن الأثير مواقف لها تأثيرها في هذه القضية(٢)، كما كان للشيخ عبد القاهر الجرجاني موقفًا حاسمًا في اللفظ والمعنى ؛ حيث إن نظرية النظم عنده ترفض الفصل بين اللفظ والمعنى، وذلك بتوضيح طريقة عملية قائمة على الدمج بين كلا المكونين، حيث يرى أن المفاضَلة لا تقَع للفظ من حيث هو مفرد قبلَ دخوله في التركيب على طريقةٍ مخصوصةٍ، فما وجهُ المفاضَلة بين كلمة رجل وكلمة فرس، إذا لم يتبيَّن لي موضعها من حيث النظم، يقول الشيخ عبد القاهر: "وهل يقع في وهْم وإنْ جهد أنْ تَتفاضَل الكلمتان المفردتان من غير أنْ ينظر إلى مكانٍ تقَع فيه من التأليف والنظم"(٣).فلا بد أن تكون الكلمة ضمن السياق حتى يمكن الحكم عليها.

وعند الوقوف على الصلة بين اللفظ والمعنى في الدراسات الحديثة، يتبين أن النقاد العرب منهم من أصرَّ على نظرة تفضيل المعنى على اللفظ، وأخذ يؤكد موقفه بهذه العلاقة في معاني الحروف كأحمد فارس الشدياق الذي يرى أنَّ كل حرف ينفرد بمعنى من المعاني، دون غيره وعدَّ ذلك من أسرار اللغة العربية التي قلَّما يفطن إليها المرء(٤)، وبالمقابل نجد أن من النقاد العرب من اعتقد أن العلاقة

(١) يُنظر: الخصائص، عثمان بن جني الموصلي ، ٢/١٥٤-١٥٩

(٢) يُنظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي ، ط١، (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٧٩م)، ٣٢٩.

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ط٣، ت: محمود شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني وجدة: دار المدني ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ٤٤.

(٤) يُنظر: الساق على الساق فيما هو الترياق، أحمد بن فارس بن يوسف الشدياق، د.ط، د.ت، ١/١

بين اللفظ والمعنى عرفية بحكم الاستعمال كالدكتور إبراهيم أنيس [١]، هذا وقد كان للمحدثين الغرب نظرة أخرى حيال العلاقة بين اللفظ والمعنى، فمنهم من يرى وجود اتصال طبعي بين الألفاظ ومعانيها أمثال: همبلت و جسبرسن، ومنهم من عارض ذلك الاتصال كمدفيج و دي سوسير الذي يُعد من أبرز المعارضين للعلاقة بين اللفظ والمعنى؛ حيث يؤكد أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية لا ترتبط بمنطق ولا تخضع لنظام واضح مطرد[٢]، فهو يُمثل رائد المدرسة البنيوية الحديثة التي تنظر إلى أن موضوع النص هو النص بحد ذاته، وأنه لا يوجد معنى محدد للكلمة إلا مع طائفة من الكلمات، فنجد بعض آراء دي سوسير إشارات سبقه إليها الشيخ عبد القاهر الجرجاني الذي يؤكد القول في الفصاحة: " إن الألفاظ المدرجة التي هي أوضاع اللغة التي لم توضع لتعرف معانيها في نفسها، ولكن لأن يُضم بعضها فيُعرف فيما فيها من فوائد [٣].وكل هذه الدراسات تكشف عن أهمية وقوة العلاقة بين اللفظ والمعنى، هذه العلاقة التي كُتب لها الدوام والاتصال الذي لا يمكن نزعه بأي حال من الأحوال. فمحور البلاغيين حين تعرضوا لهذه العلاقة المتينة كانت المناسبة القائمة بين اللفظ والمعنى، إذ أصبحت فنًا بديعيًا يُسهم في جعل الكلام ذا رونق وجمال، وهو " أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له، فإذا كان المعنى فخمًا كان اللفظ الموضوع له جزلًا، وإذا كان المعنى رقيقًا كان اللفظ رقيقًا، فيطابقه في كل الأحوال، وهما إذا خرجا على هذا المخرج وتلاءما هذه الملاءمة وقعا من البلاغة أحسن موقع، وتألّفا على أحسن شكل وانتظما في أوفق نظام" [٤]، وهذه المناسبة تبدو شديدة الوضوح في كثير من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، فمن ذلك قوله تعالى:

(١) يُنظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط٥، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م) ، ٧١ .

(٢) نقلا عن المرجع السابق، ٦٨-٧٠

(٣) يُنظر: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ٤٤

(٤) يُنظر: الطراز، مرجع سابق، ٣/٨٠

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾(١)، نلاحظ أن الآية الكريمة جاءت بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها، اللاتي هن أكثر استعمالًا؛ لأنه خيف على يعقوب من دوام حزنه وطول أسفه، كما استُعملت "تفتأ" وتُركت أخواتها مثل: ما تزال، ثم أتى بعدها بأغرب ألفاظ الهلاك، وهي لفظة "حرضًا " بمعنى الإشفاء على الهلاك(٢). ومن ائتلاف اللفظ مع المعنى في الحديث النبوي الشريف، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا"، وَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟"(٣). هذا الحديث الشريف يتحدث عن أثر الكسب الطيب في قبول العمل والدعاء وموانعه. فقد وُصف الله تعالى بالطيب ومعناه هنا الطاهر الزاكي والمعنى أنه تعالى مقدس منزه عن النقائص والعيوب كلها(٤)، ومن أثر هذه الصفة النبيلة أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طاهرًا من المفسدات كلها، ولا يقبل سبحانه من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالًا، إذ يُوصف بالطيب الأعمال والأقوال والاعتقادات، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾(٥). وقال: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾(٦)، كما وصف سبحانه المؤمنين بالطيبين في في قوله: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا

(١) سورة يوسف: ٨٥

(٢) يُنظر: تحرير التحبير، مرجع سابق، ١٩٤ و الطراز، مرجع سابق، ٨٠

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ٧٠٣/٢.

(٤) لسان العرب مادة "طـي_ب"،٥٦٣.

(٥) سورة إبراهيم: ٢٤

(٦) سورة فاطر: ١٠

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [1]، فالمؤمن كله طيب قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه وهذه الطيبات كلها يقبلها الله تعالى.

بعد ذلك جاء النبي ـ ﷺ ـ بأغرب وصف فقال: "رجل يطيل السفر أشعث أغبر " يعني أشعث في شعره غير مسرح وغير نظيف، وأغبر من التراب، والمراد أنه لما كان هذا الرجل شديد التعب لطول سفره وسيره وكان كل همه قبول دعائه حيث تبدو عليه كل أسباب إجابة الدعاء، إذ كان مسافرًا ومعلوم أن دعوة المسافر مستجابة كما أن الرجل تذلل لله وخضع له برفع يديه ومناديًا "يا رب"،ولكن فات هذا الرجل أن دعاءه لن يُقبل ؛ لأنه ارتكب الحرام لذاته أو لكسبه في المطعم والمشرب . ففي هذا الحديث جاء التعبير النبوي بألفاظ عذبة رقيقة في وصف الله تعالى والمؤمنين بالطيب ؛ لما يقدمه المؤمنون من طيبات، ولكن لما وصف الرجل المقصر جاء بألفاظ شديدة اللهجة وشديدة الغرابة، وبذلك ناسبت الألفاظ المعاني وتآلفت معها، وتبينت هنا قيمة ائتلاف اللفظ مع المعنى الذي أراده الرسول ﷺ، وسأسير في منهج التحليل لإبراز القيمة البلاغية لهذا الفن البديعي في كلام الحبيب ـ ﷺ ـ من خلال أحاديث الأربعين النووية.

(١) سورة النحل: ٣٢

المبحث الثاني: نبذة عن الأربعين النووية

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين . علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نواد من قرى حوران، بسورية وإليها نسبته . تعلم في دمشق، وأقام بها زمنًا طويلًا . من كتبه: " منهاج الطالبين، تصحيح التنبيه في فقه الشافعية، المنهاج في شرح صحيح مسلم، التقريب والتيسير في مصطلح الحديث، حلية الأبرار يُعرف بالأذكار النووية، خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الإسلام، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الأربعون حديثًا النووية"، وقد شرحها كثيرون [(١)]. وهو متن مشهور، اشتمل على اثنين وأربعين حديثًا محذوفة الإسناد، في فنون مختلفة من العلم، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث ؛ لما اشتملت عليه من المهمات، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات.

وقد قال المؤلف في مقدمته – بعدما تكلم عن الأحاديث التي رأى جمعها– ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها، لكنّ هذا الباب لا وجود له في كثير من طبعات الأربعين النووية التي وقفت عليها وكذا شروحها، وقد ذكره صاحب كتاب الوافي في شرح الأربعين النووية، كما ذكره الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان في مقدمة شرحه للأربعين .

وقد ذاع صيت الأربعين النووية على مرّ العصور كما اعتنى العلماء بشرحه وحفظه وكثرت شروحه.

وأصل المتن مجلس أملاه الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ رحمه الله تعالى سمّاه "الأحاديث الكلية "، جمع فيه الأحاديث التي يقال: إن مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة بلغت ستة وعشرون حديثًا . ثم إن الإمام النووي رحمه الله

---

(١) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط٣، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، ١٤٩

تعالى أخذ هذه الأحاديث وزاد عليها تمام الاثنين والأربعين حديثًا، وسمى كتابه بالأربعين.

وقد ذكر النووي في مقدمته لهذا الكتاب أنه التزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة، ومعظمها في صحيح البخاري ومسلم" [(١)]. فجميع الأحاديث في هذا الكتاب صحيحة عند الإمام النووي أو حسنة على أقل تقدير، إلا أن غيره من أئمة الحديث نقدوا جملة من هذه الأحاديث، وخالفوه فيما ذهب إليه من تحسين بعضها. ومن هؤلاء الحافظ ابن رجب الحنبلي، حيث تكلم في أسانيد بعض هذه الأحاديث، وبيّن ما فيها من ضعف وهي:

الحديث الثاني عشر: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ".

الحديث التاسع والعشرون: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " حَتَّى بَلَغَ "يَعْمَلُونَ"، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْك أُمُّك وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!)[(٢)].

(١) مقدمة الأربعين النووية ، محيي الدين يحيين شرف النووي، ط١، ت: قصي محمد الحلاق و أنور الشيخي، (بيروت: دار المنهاج، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)٤٤.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ١١/٥.

الحديث الثلاثون: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا)(١).

الحديث التاسع والثلاثون: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)(٢).

الحديث الحادي والأربعون: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ)(٣).

وهذه الأحاديث الأقرب ضعفها من حيث السند كما ذكر الحافظ بن رجب، وإن كانت معانيها صحيحة ومقبولة. "ولعل عذر المؤلف النووي في وقوع هذه الأحادي الصحيحة: إنما هو اعتماده غالبًا على تصحيح أو تحسين الترمذي، وسكوت أبي داود على الحديث إذ لم يتفرغ هو بنفسه لإجراء التحقيق عليها، .....وإلا فلو أن النووي توجه أو تيسر له النظر في أسانيد تلك الأحاديث، لتبين له إن شاء الله عللها وضعفها" (٤).

(١) سنن الدار قطني،كتاب الرضاع، ٣٢٥/٥.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، ٦٥٩/١.

(٣)المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، د.ط، ت: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، د.ت)، ١٠٢/٢.

(٤)رياض الصالحين، محيي الدين بن يحي بن شرف النووي، د.ط، ت: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت) المقدمة ، ٦

المبحث الثالث: ائتلاف اللفظ مع المعنى

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: المساواة

تعريف المساواة:

سوا الشيء: مثْله، يقال: ساويت بينهما وسوّيت وساويت الشيء ساويت به[١].

لقد عرض الجاحظ للمساواة فقال: "حق المعنى أن يكون الاسم لـه طِبقًـا وتلك لها وفقًا، ويكون الاسم له لا فاضلًا ولا مفضولًا "[٢]. وأدخلها قدامة في نعت ائتلاف اللفظ والمعنى، وقال: "المساواة وهو أن يكون اللفظ مساويًا للمعنى حتـى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه البلاغة التي وصف بها بعض الكتـاّب رجلًـا فقال: "كانت ألفاظه قوالب لمعانيه " فهي مساوية لهـا لا يفضـل أحـدهما عـن الآخر"[٣]. فكان قدامة أول من أطلق مصطلح المساواة ثم أخذه البلاغيون وأداروه في مباحثهم التي تعرّضت للإيجاز والإطناب [٤].

---

(١) لسان العرب، ٤٠٨/١٤

(٢) البيان والتبيين، مرجع سابق، ٩٣/١

(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي، ط١،(القسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢)، ١٧١

(٤) يُنظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الحسن بن رشيق القيرواني، ط٥، ت: محمد محيي الـدين عبد الحميد، (بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ٢٥٠/١، الصناعتين، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، د.ط، ت: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم،(بيـروت: المكتبـة العصرية، ١٤١٩)، ١٧٩، إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني، ط٥، ت: أحمد صقر، (مصر: دار المعارف، ١٩٩٧م)، ٨٩، سر الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، ط١، (مصر: دار الكتب العلمية، ١٣٠٢هـ - ١٩٨٢م)،٢٠٧، الكافي في العروض والقوافي، يحي بن علي بن محمد التبريزي، د.ط، ت: الحساني حسن عبد الله، (بيروت: مؤسسة عالم المعرفة، د.ت)، ٢٦٦،، قانون البلاغة في نقد الأدب والشعر، محمد بن حيدر البغدادي، د.ط، ت: محسن غياض عجيل، (بيـروت: مؤسسة الرسالة د.ت)، ٤١٦-٤٤٠، التبيان في البيان، الحسين بن محمد الطيبي، ٥١٨،تحريـر التحبير، مرجع سابق، ١٩٧،بديع القرآن،عبد العظيم بن أبي الإصبع، د.ط، ت: حفني محمد شرف، (مصر: النهضة، د.ت)، ٧٩،نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، ط١، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ١٤٢٣هـ)،٨/٧،الفوائد، محمد بن قيم الجوزية، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، ١٧٨،خزانة الأدب، مرجع سابق، ٤٤٩، نفحات الأزهـار علـى نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، عبد الغني النابلسي،٢٤٩،كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، ضياء الدين بن الأثير،ط١، ت: نوري القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي، (دبي: مركـز جمعية الماجد للثقافة والتراث، د.ت)، ١٧٩.

فمراد المعنى اللغوي نجده في المعنى الاصطلاحي الذي أورده ونجد بأن الخلاف على أشده بين علماء البلاغة في حد " المساواة فمنهم من لا يحد فيها غير كونها واسطة بين الإيجاز والإطناب، ويرى أن البلاغة في الإيجاز والإطناب حصرًا دون المساواة . فهي غير محمودة ولا مذمومة لأنهم فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين لا يعدون في رتبة البلاغة [١]. هذا مذهب السكاكي، غير أن القزويني قد رد كلامه وأوضح معنى المساواة بقوله: "المراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصًا عنه بحذف ولا زائدًا عليه، والبناء على متعارف الأوساط الذي يكون جديرًا به رد إلى جهالة، فكيف يصلح للتعريف " [٢]. فالمساواة طريق من طرق التعبير كما الإيجاز والإطناب.

هذا وتجد أن البلاغيين قد اختلفوا في تقديم أو تأخير المساواة على الإيجاز والإطناب، فالقزويني أخّر المساواة عن الإيجاز والإطناب رغم أنها الأصل في أداء المعنى دون زيادة أو نقصان، كما أن المساواة الأصل الذي يتفرع عنه الحكم بالإيجاز والإطناب، والوجه الذي لحظه القزويني في تأخير المساواة، هو توقف معرفتها على معرفتهما، لأنه ما لم تعلم الزيادة التي يُمثلها الإطناب والنقص الذي يمثله الإيجاز بشرطهما؛ لم تُعرف المساواة إذ هي موقوفة عليهما، وهذا مخالف للمنطق، بينما قدّم السيوطي للمساواة على غيرها لأنه لا يمكن الحكم بكون اللفظ أقل أو أكثر إلا إذا استحضرت المساواة [٣].

فمذهب البلاغيين في المساواة على وجهين:

الأول: أن المساواة واسطة بين الإيجاز والإطناب و إلى ذلك ذهب السكاكي والقزويني وشراح التلخيص. وهؤلاء عدوه محمود بل معدود من البلاغة.

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ٢٩٤/١.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ط٣، ت: محمد خفاجي، (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ١٧٧.

(٣) التلخيص في وجوه البلاغة، جلال الدين القزويني، ط١، ت: عبد الرحمن البرقوقي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٠٤م)، ١٠٩.

الثاني: أن المساواة داخلة في قسم الإيجاز وإلى ذلك ذهب ابن الأثير والطيبي[١]، فهؤلاء فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس [٢].

وبعد هذا العرض السريع لكل ما يتصل بالمساواة سأشرع _بإذن الله_ في التطبيق على بعض الأحاديث النبوية التي تتسم بأسلوب المساواة.

الحديث الأول: عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"[٣].

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام، فكل عمل لا يكون خاضعًا لشرع الله ورسوله، فهو مردود على عامله فمن أحدث في الدين مالم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء، بل إن عامله يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾[٤]، فافتتح الرسول_ ﷺ_كلامه بجملة شرطية فقال: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا)، والابتداء بالشرط يشوق السامع ويُثير ذهنه في محاولة منه لمعرفة جواب الشرط الذي يوقظ عقله فيتأمل جواب الشرط بكل حواسه. وبهذا يتضح أن الجملة الشرطية هي جملة واحدة، لا تقبل التجزئة ويُعبر بها عن فكرة واحدة [٥]،

وقد جاءت الجملة الشرطية خبرية الأسلوب،" وذلك لأن الخبر أعظم شأنًا وأعم فائدة " [٦]. وجواب الشرط في هذا الحديث قولهﷺ: (فَهُوَ رَدٌّ) حيث خرج الشرط عن مقتضى ظاهره إلى معنى التحذير الذي يفرض على العقل والقلب الابتعاد والانتهاء عن المحذور منه.

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني، د.ط، (القاهرة: مؤسسة الرسالة، د.ت)،٦/٣١٤.

(٢) البديع في نقد الشعر، مجد الدين أسامة بن منقذ، ت: أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، (الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة، د.ت)، ١٥٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ٣/١٣٤٣.

(٤) سورة الشورى: ٢١

(٥) يُنظر: التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر،مالك المطلبي، د.ط، (دمشق:دار التقوى، د.ت)، ٥٦

(٦) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، ط٣، ت: عبد الحميد الهنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ)، ١٧٩.

فأول ما يلفت أنظارنا إلى هذا الحديث الشريف دلالة التحذير بأسلوب الشرط، وما هذا التحذير إلا لتأكيد عظم اقتراف إدخال أي أمر في الدين وليس منه في شيء، وقد جاء الحديث مساوٍ تمامًا للمعنى المراد دون زيادة أو نقصان، فكان بليغًا رغم قلة ألفاظه ولذلك كانت لهجة الرسول ﷺ شديدة الوضوح كونه يُحذر الأمة من الوقوع في أمر جلل.

وفي قوله ﷺ: (أَحْدَثَ) بمعنى ابتدع، والحدوث: كون الشيء لم يكن [١]، ونلاحظ أن الرسول ﷺ

قال: (مَا لَيْسَ مِنْهُ) وهذا مما يؤكد أن هناك فرقًا دقيقًا بين أحدث وابتدع. ومنه حديث (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)[٢] . وبهذا يتبين أن الحدوث وإن كان بمعنى الابتداع إلا أنهما مختلفين، فالإحداث في الدين هو إدخال ما لم يذكر في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع،ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ(مَا لَيْسَ مِنْهُ) أي ليس من الدين بتاتًا .

وبعد الجملة الشرطية "من أحدث" والتي تضمنت تحذيرًا ووعيدًا لكل من تسوّل له نفسه أن يُدخل في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فقد جاءت جملة جواب الشرط لتتمم المعنى وتؤكده في النفوس،بلهجة فيها من الشدة والحزم والقوة ما يجعل النفس تتجنب الإقدام على مثل هذا الأمر، فأتى النبي ـ ﷺ ـ في هذا الحديث بألفاظ تدل على عظمة اقتراف ما يؤدي إلى ذلك الأمر،وهذا من شدة حرصه ـ ﷺ ـ على أمته، لذا جاءت ألفاظه موافقة لمعانيه.

*الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ: (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ).[٣]

(١) يُنظر: لسان العرب، ٤/٤٥،مادة: "ح- د – ث".

(٢) مسند أبي داوود، أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، ٥/٤٤..

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، ٩/٩٤.

إن الإيمان بما جاء به رسول الله والانتهاء عما نهى عنه، هو غاية الرسالة المحمدية التي بها يسعد المرء في دنياه، ويثاب عليها في أخراه، وفي هذا الحديث تجد الطريق الصحيح لاتباعه_ﷺ_ حتى لا يكون لأحد حجة في عدم اتباعه، وأعظم الأمور التي ينبغي اجتنابها كثرة المسائل والاختلاف على الأنبياء. وقد بين _ﷺ_أن الأمم إنما أُهلكت لهذين السببين، فالمنهج القويم واضح فهذا الحديث الشريف، الذي هو منارة المؤمن في حياته، والتي يتحدد مصيرها بمدى اتباعه لرسوله الكريم.

ولهذا ابتدأ الحديث بجملتين شرطيتين تتطلب كل منهما جوابًا . فقوله: "ما نهيتكم عنه "فعل الشرط الأول، وقوله: (فَاجْتَنِبُوهُ) جواب الشرط. إن الأمر هنا يوجب علينا أن نكون في جانب بعيد تمامًا عن المنهي عنه . وقوله: (وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ) فعل الشرط الثاني، وقوله: (فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) جواب الشرط[1]. ويظهر الفرق بين المنهيات والمأمورات، في أن المنهيات: قال فيها ﷺ: (فَاجْتَنِبُوهُ) ولم يقل ما استطعتم، لأن النهي يقتضي الكف عن ممارسة المنهي عنه، لا محاباة في ذلك،وأما المأمورات فإنها إيجاد قد يُستطاع وقد لا يُستطاع، ولهذا قال (فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) فالتعبير النبوي دقيق في اختيار الالفاظ المنسجمة مع المعاني السامية . وأول لطائف المساواة قوله ﷺ: (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ) والنهي يوجب الكف سواء أكان المنهي عنه قليلًا أو كثيرًا، ويأتي النهي بمعنى المنع [2]، ولكنّ استعمال الرسول ﷺ لفظ "ما نهيتكم" دون "ما منعتكم"، في سياق هذا الحديث إنما كان لفروق دقيقة بين اللفظتين،

فالمنع هو أن تحول بين المرء وما يريد[3]،فالرسول_ ﷺ _يؤسس في هذا الحديث منهجًا لتسير عليه أمته، فكان لابد من ألفاظ حازمة قوية يفهمها الجميع دونما حاجة إلى جهد في التأويل، ولعظم هذا الأمر كان من البدهي استعمال ألفاظ

(١) يُنظر: شرح ابن عثيمين، مرجع سابق ١٣٣/١.

(٢) لسان العرب، مادة "ن – هـ – ى "، ٣٤٣،٣٤٤/١٥.

(٣) المرجع السابق: ٣٤٣/٨.

دقيقة في معناها ومبناها، ليكون المنهج مستوعبًا لدى كل مؤمن بعيدًا عن الألفاظ المعقدة التي تحتاج تفسيرًا وتأويلًا، كما أنها ليست بالألفاظ الرقيقة التي تجعل المرء يتساهل في تطبيقها، ولهذا تجد أن الألفاظ جاءت مساوية للمعنى المراد دون زيادة أو نقصان، وهذا ما تحققه كلمة (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ). وقد جاء في مقاييس اللغة أصل كلمة " نهى ": نهيته عنه،وذلك لأمر كان يفعله، فإذا نهيته فانتهى عنه، فتلك غاية ما كان وآخره؛ ولذلك يدل النهي على الغاية والبلوغ. ومنه أنهيت إليه الخبر: بمعنى بلغته إياه،ونهاية كل شيء غايته(١).

وانظر إلى قوله ﷺ: (وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) فمساواة اللفظ للمعنى المراد دون زيادة أو نقصان أسهمت بشكل كبير في إيضاح ما أراده ﷺ، ولذا استعمل في الحديث لفظ (وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ) دون لفظ "ما ألزمتكم " حيث الفروق الدقيقة بين اللفظتين، فاللزوم الدوام وعدم مفارقة الشيء (٢)، قال الشاعر:

فإِمَّا يَنْجُوَا مِنْ حَتْفِ أَرْضٍ فَقَدْ لَقِيَا حُتُوفَهُمَا لِزَامًا(٣)

ولما أراد الرسول الكريم لهذا المنهج أن يُخلَّد في نفس المؤمن لم يُلزمه بكل ما أمر به وإنما كان أمره مقيدًا باستطاعة المؤمن، وما ذلك إلا رحمة بالمؤمنين وتيسيرًا عليهم إذ تريبهم على الانقياد للأوامر، لأن النفس البشرية تأنف من الأمر ولعلم الرسول_ ﷺ _ بطبيعة النفس وعدم قدرتها على الإتيان بجميع الأوامر على درجة واحدة من الانقياد، فإنه لم يأمرها بالاستكراه وإنما أمرها بقدر الاستطاعة، وهذا مما يروض النفس ويقودها لتقبل كل ما جاء به رسول الله _ ﷺ _فرسالته جاءت رحمة للعالمين،تحمل بين طياتها كل ما يناسب البشر ويراعي ظروفهم،كما أنها رسالة تمتلك مفاتيح النفس والعقل ؛ لذلك يُقبل

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، د.ط، ت: عبد السلام هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)،٣٥٩/٥.

(٢) لسان العرب، مادة " ل – ز – م"، ٥٤١/١٢،.

(٣) ديوان الهذليين، الشعراء الهذليين، د.ط، ت: أحمد الزين و محمود أبو الوفا، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م)، ٦٥/٢.

المؤمن على الطاعات بصدر رحب ويدبر عن المنهيات بنفس قانعة راضية. فتأمّل دقة اختيار النبي ﷺ لكلمة (وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ) والتي ناسبت المعنى الدقيق الذي قصده الحبيبﷺ.

ونلمح جمال القصر "بإنما" في الحديث حين قصر ـﷺـ هلاك الأمم السابقة على كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، كأن هذا الأمر معلوم وحقيقة مقررة لا مجال للشك فيها.

*الحديث الثالث: عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ـﷺـ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيبُكَ)[1].

الإسلام دين يدعو إلى الثبات واليقين في الأقوال والأفعال، وهذا منهج قويم يُجنّب العبد الوقوع في الشكوك والظنون . وفي هذا الحديث دعوة إلى ترك كل ما يثير الشك والقلق وأن يتوجه إلى اليقين .

وبين أيدينا حديث من جوامع الكلم وما أجوده وما أنفعه للعبد إذا سار عليه، فالعبد ترد عليه شكوك في أشياء كثيرة، فنقول: دع الشك إلى ما لا شك فيه حتى ترتاح وتسلم، لئلا تصل إلى حد الوسواس الذي إن وصلت إليه توجب عليك المبادرة إلى المعالجة والاستشفاء.

وقد يقع الشك في العبادات كما يقع في المعاملات وفي كل أبواب العلم[2].

إن الحديث يبين مدى حرص النبي ـﷺـبالصحة النفسية للمؤمن، التي قد تعتريها المخاوف والوساوس، في كل وقت وحين؛ لذلك أرشدنا الرسول ـﷺـ إلى ما يجعل النفس واثقة في أداء العبادات والمعاملات، بعيدًا عن كل الشكوك التي تجعل النفس ضعيفة ومتوجسة، فيضيع عليها الكثير جراء ذلك . إن الدين الإسلامي يهدف إلى بناء النفس على الثقة بصحة العقيدة، فلا ينتابها القصور أو الضعف ؛ لتنطلق النفس إلى عبادة الله في ثبات ويقين.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب، ٦٦٨/٤.

(٢) شرح ابن عثيمين، مرجع سابق، ١٥٤/١.

وأول لطائف المساواة قوله ﷺ: (دَعْ) بمعنى اترك[١]، قال الشاعر:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ[٢]

وللعلماء في أصل الفعل " ودع" وجهان:

١- قول النحاة: أن العرب قد أماتوا الفعل الماضي من " يدع " ومصدره بل صرّح سيبويه بأنّ العرب استغنوا عن " ودع " بقولهم "دَرْك"[٣].

٢- وفي القرآن الكريم و أحاديث النبي ـﷺـ ورد أصل الفعل "ودع" قال تعالى: ﴿ مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[٤] بالتخفيف على قراءة عبد الله بن عباس، وعروة بن الزبير،ومجاهد، ومقاتل[٥]. ويرى المحققون من العلماء أنّ جميع القراءات حجة في اللغة، سواء كانت متواترة أو شاذة، لأنها منقولة بالأسانيد الصحيحة الثابتة إلى النبي ﷺ، ولا يجوز الطعن فيها ولا ردها. وقوله ﷺ: عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِينَاءَ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ عُمَرَ يُحَدِّثَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـﷺـ قَالَ: وَهُوَ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ[٦].

فهذان من أفصح المصادر العربية، وقد ورد فيهما أصل الفعل "دع" .

هذا وقد أنشد الأصمعي لأنس بن زنيم:

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ أَمِيرِي مَا الذِي غَالَهُ فِي الحُبِّ حَتَّى وَدَعَه[٧]

---

(١) لسان العرب: مادة: "و_د_ع"،٩٦/٦.

(٢) ديوان أبو نواس، مرجع سابق،.٨٠

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد كمال الدين الأنباري، ط١، (القاهرة: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ٣٩٧/٢.

(٤) سورة الضحى: ٢.

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف، مرجع سابق، ٣٩٧/٢.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ٣٢١/١.

(٧) الأصمعيات اختيار الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن أصمع،د.ط، (القاهرة، المكتبة العلمية،د.ت)،٣٨.

وما أنشده الأصمعي يُعدُّ حجة، ولا خلاف في ذلك، وجاءت " وَدَعَه " هنا بالتخفيف فهو يروي ما سمعه، والعبرة بالرواية التي جاءت عن السائقين والطريقة التي نقلوا بها ما سمعوه عن العرب كما أثبت ذلك أبو حيان الأندلسي الظاهري، وهو من أشد العلماء تتبعًا وتقصيًا للغة العرب.

ومن خلال تتبعي لأصل كلمة " دع " تبين أن القول الثاني أرجح وآكد، فالنبي_ ﷺ_في الحديث قال: "دع " ولم يقل " اترك "، وذلك للفرق الدقيق بين المعنيين، فكلمة "دع" تدل على الترك والتخلية[١] في الحال دون أي محاولة للاستمرار فيما هو عليه. ومنه ودّعته توديعًا، ومنه الدَّعة: الخفض، كأنه أمر يترك معه ما يُنصِب ورجل مُتَدعٌ: صاحب راحة وقد نال الشيء وادعًا من غير تكلف، والوديع الرجل الساكن والموادعة المصارحة والمتاركة[٢].

بخلاف " الترك " الذي يدل على الترك والتخلية عن الشيء مع وجود مجال للانتهاء من الشيء المأمور بتركه[٣].

وتُستعمل " دع " للأمر الموجب لتلبيته، والذي لا يحتمل التأجيل أو التفكير، كما تُستعمل " اترك " للأمر الذي يمكن تأجيله، والذي يمكن تأجيل تركه، فالنبي _ﷺ_استعمل لفظ "دع" لعلمه بأنّ هذه الكلمة تُلزم العبد بطاعة الأمر على وجه السرعة وبشكل لا يدع للنفس مجالًا لرفض الأمر، لأنّ القصد العناية بصحة النفس البشرية، وتنقيتها من كل ما قد يشوبها من شك أو قلق حتى لا يؤثر ذلك على أداء العبادة، وهذا من رحمته _ﷺ_ بأمته. فكلمة "دع" أدلّ وأبلغ ائتلافًا للمعنى الذي رامه الرسول الكريم.

وقوله ﷺ: (مَا يُرِيبُك) الريب: الشك،والظنة،والتهمة[٤]. فبعد الأمر الحازم بترك كل ما يورث القلق والشك والريب، جاء الانتقال السريع إلى الحل وهو

---

(١) لسان العرب، مادة " و – د – ع"،٩٦/٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، مادة "ت_ ر_ك"، ٣٤٥/١.

(٤) المرجع السابق مادة " ر_ي_ب"، ٤٤٢/١.

اللجوء إلى كل أمر لا يدعو إلى القلق، ولا يقضّ مضاجع النفس ويوهنها بل جاء الأمر باختبار الشيء الذي تطمئن إليه النفس وترتاح إليه، والريب كما رأينا جاء بمعنى الشك إلا أن هناك فروقًا دقيقة بين اللفظين، كان لها دورًا في إرادة المعنى الذي قصده الرسول الكريم، فالشك نقيض اليقين وجمعه شكوك (١)، فالشين والكاف أصل واحد وهو يدل على التداخل، ومن ذلك قولهم: شككته بالرمح، وذلك إذا طعنته فداخل السنان جسمه، ومن هذا الباب فإن الشك خلاف اليقين، وإنما سُمي بذلك لأن الشاك كأنه شُكَّ له الأمران في مِشكٍّ واحد، وهو لا يُتقن واحدًا منهما (٢). ونستنتج مما سبق أن الشك هو استواء وتعادل كلا الاحتمالين، أما الريبة فليست هي الشك وإنما هي نتيجته وحصيلته، وأن تفسير الريب بالشك مع التهمة أقرب وأصوب ؛ إذ إن حقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها، ولذلك فإن الشك تردد يُفضي إلى تلك الحالة، وبهذا يُصبح تفسير الريب بالشك، إنما هو تقريب للمعنى، لا تحقيق دقيق له (٣).

ويتضح في الحديث جمال الطباق بالسلب بين " يريبك ولا يريبك" فالجمع بين الضدين ساعد على التمييز بينهما مما يسهل اختيار أحدهما.

لهذا كان ﷺ دقيقًا في اختيار لفظ " الريب " لأنها القادرة على أداء المعنى الذي أراده الرسول الكريم، وهو الضابط في رفع ما تقع فيه النفس من ريب، وهذا الضابط في غاية السهولة والتناول ؛ بحيث يمكن للنفس اتخاذه دونما أية صعوبة أو عوائق؛ إذ يجدر بالنفس إذا ارتابت من شيء أن تزيله على الفور باللجوء إلى ما يرفع ذلك الريب، وبهذه الكلمات اليسيرة العظيمة في آن معًا، استطاع الرسول الكريم أن يُعلم أمته درسًا مفصليًا في الحياة.

---

(١) لسان العرب، مادة "ش_ك_ك"، ٤٥١/١٠.

(٢) مقاييس اللغة، مرجع سابق: ٣٤٥/١.

(٣) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد الرحمن الشايع، ط١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ٢٣٦.

●الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ)(١).

إن الإسلام جمع المحاسن كلها حيث اجتمعت في كلمتين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾(٢)، ومن شيم المسلم تركه مالا يخصه ولا تتعلق به أموره وحاجاته، فلو اشتغل المرء بما لا يعنيه يفقد إسلامه ذلك الإحسان، وهذا يقع كثيرًا لبعض الناس فتجده يتكلم في أشياء لا تمت له بصلة أو أن يسأل عن أمور ليس له بها أدنى صلة، وهذا التدخل المقيت يدل على ضعف إسلام المرء(٣).

وأول لطائف المساواة في هذا الحديث، استخدام أسلوب "بعض من كل " وذلك يتضح في قوله ﷺ: (مِنْ حُسْنِ) فيه دلالة على أن محاسن الإسلام كثيرة ولكن أولها هو ترك المرء مالا يعنيه . فقد استعمل الرسول الكريم كلمة " ما لا يعنيه " من الفعل عنى أي عناية، ومنه عناه الأمر أي أهمه وأشغله(٤)، ويُقال عُني بالشيء فهو معني به .

ومن كل ذلك نصل إلى أن المرء ينبغي عليه تقدير خصوصية الآخرين، ويحترم شعورهم وعليه أن يهتم بشؤونه،ويديرها على أحسن وجه ؛ لأنه لو اهتم بما عليه الآخرين،فإنه سيقصّر بالتأكيد في كل جوانب حياته التي هي أولى باهتمامه وعنايته، ولهذا كله اختار الرسول ـﷺـ هذه الألفاظ اليسيرة في مبناها والعظيمة في معناها حيث كانت مساوية تمامًا لما أراده الرسول الكريم.

●الحديث الخامس: عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ـﷺـ عَنْ النَّبِيِّ ـﷺـ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"(٥).

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، ٥٥٨/٤..

(٢) سورة النحل: ٩٠

(٣) شرح ابن عثيمين، مرجع سابق: ١٦٠/١.

(٤) لسان العرب، مادة "ع – ن – ى"، ١٠٤/١٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ١٢/١.

إن الإيمان هو جوهر الرسالة المحمدية التي بُعث بها الرسول ﷺ،فمن أجلّ النعم وأكبرها وأفضلها، أن يمن الله على العبد بالإيمان، فالله تعالى حبب إلى النفوس الإيمان وزينه في القلوب، فقبلت القلوب الحق، واطمأنت به النفس، قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ...﴾(١). ولهذا الإيمان لذة وطعم لا يحظى بها إلا المؤمن قال ﷺ: (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وبِالإِسْلَامِ دِينًا وَ بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)(٢)، فالإيمان إذا استقر في القلوب، واطمأنت به النفوس،وانطلقت الجوارح للقيام بالأعمال الصالحة، ونطق اللسان بالحق و وابتعد عن الهوى، وأول ما نلاحظه من ائتلاف اللفظ والمعنى قوله ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم) أي لا يتم إيمان أحدنا، فالنفي هنا للكمال والتمام، وليس نفيًا لأصل الإيمان، والدليل على صحة ذلك أن العمل المذكور في الحديث الشريف، لا يخرج به الإنسان من الإيمان، ولا يُعدّ مرتدًا، وإنما هو من باب النصيحة، فيكون النفي هنا نفيًا لكمال الإيمان(٣).

فتفسير الكلام وتأويله هنا جائز لأن عليه دليلًا، وليس تأويلًا من باب التأويل فقط. (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم) الإيمان في اللغة هو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان والإيمان، هو مطابق للشرع وقيل: هو التصديق وفيه نظر ؛ لأنه يُقال: آمنت بكذا وصدّقت فلانًا، ولا يُقال: آمنت فلانًا. وقيل الإيمان في اللغة الإقرار واستدل القائل لذلك أنه يقال: آمن به وأقرّ به، ولا يُقال: آمنه بمعنى صدقه(٤)، فلما لم يتوافق الفعلان في التعدي واللزوم عُلم أنهما ليسا بمعنى واحد.

فالإيمان في اللغة حقيقة إقرار القلب بما يرد عليه وليس التصديق. وقد يرد الإيمان بمعنى التصديق بقرينة كقوله تعالى: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾(٥)، أي فانقاد له

(١) سورة الحجرات: ٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، ٦٢/١.

(٣) شرح ابن عثيمين، مرجع سابق،١٦٦.

(٤) لسان العرب، مادة " آ – م – ن"، ٢٣/١٣ .

(٥) سورة العنكبوت: ٢٦.

وصدّق دعوته . فمن أقرّ بدون قبول وإذعان فليس بمؤمن، وعلى هذا فاليهود والنصارى اليوم ليسوا بمؤمنين وإن كانوا مقرين؛ لأنهم لم يقبلوا دين الإسلام، ولم يُذعنوا، فأبو طالب كان مقرًا بنبوة النبي ـ ﷺ ـ ويُعلن بذلك فيقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا[1]

لَوْلَا الملَامَةَ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ لَرَأَيتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

وهذا إقرار واضح ودفاع عن الرسول الكريم، ومع ذلك ليس بمؤمن، ومحل الإيمان: القلب واللسان والجوارح، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم ﴾[2]، قال المفسرون: إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس، وقال رسول الله ﷺ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ)[3]، فقول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،) هذا قول اللسان، و(إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ) هذا فعل الجوارح، و(الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ) هذا عمل القلب.

وقوله ﷺ: (حَتَّى يُحِب)، "حتى" هذه للغاية،بمعنى إلى أن "يحب لأخيه" والمحبة لا تحتاج إلى تأويل ولا تفسِّر بأبين من لفظها وقوله (لِأَخِيه) أي المؤمن (مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه) من خير ودفع شر ودفاع عن العرض وغير ذلك. ولأنَّ الرسول ـ ﷺ ـ أقام الدين على الإيمان بالله تعالى محبة فيه وفيما عنده فقط، واختار لهذا الحديث أن يربط الإيمان بالمحبة للأخ، وتلك من أقوى الأواصر التي تربط بين المؤمنين دون زيادة أو نقصان، وكان للائتلاف دورًا عميقًا في إبراز الهدف من المعنى، وهو أن الإيمان يأتلف مع المحبة حتى يسود أجواء المؤمنين كل الحب والإخاء، وهذا هو المجتمع القيمي المبني على المحبة والبعيد عن البغض والكره بشتى ألوانه.

---

(١) ديوان أبي طالب عم الرسول ﷺ، جمعه وشرحه محمد التونجي،ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي،١٤١٤ه-١٩٩٤م)، ٩١.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ٦٣/١.

●الحديث السادس: عَنْ أَبِي الْعَبَّاس سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؛ فَقَالَ: (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ)[١] .

ومما ينبغي أن يُعلم قبل الحديث عن الزهد: أن باب الزهد من أنفع الأبواب لمن تدبره فإن الدنيا دار قلة وزوال ومنزل نقلة وارتحال، ومحل نائبة وامتحان ومتاع غرور وافتتان، فلا تيأس على ما فات منها ولا تفرح على ما وجد منها ولا تجزع على ولد أو نفس تموت ولا تحزن على أمر يفوت. [٢]لا يقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، ويقال يزهد فيهما زُهْدًا، وزَهِدَ وزَهَدًا، وأيضًا زَهُدَ . والتزهد في الشيء وعن الشيء، خلاف الترغيب فيه، وزهد في الأمر: رغَّبه عنه. قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[٣] أي المقلين بقيمته.

الزهد في الاصطلاح: اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف الزهد مع تقارب المعاني فقد قيل في تعريفه: بغض الدنيا والإعراض عنها.وقيل هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك[٤]. ومن أصوب ما قيل فيه أنه: أخذ أقل الكفاية مما تُيقن حله، وترك الزائد على ذلك لله تبارك وتعالى[٥].

وأول لطائف المساواة قول النبي ﷺ: (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا) والزهد فيها الرغبة عنها، وألا يتناول الإنسان منها إلا ما ينفعه في الآخرة، وهو أعلى من الورع لأن

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، ١٣٧٣/٢.

(٢) تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد شمس الدين المنبجي، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)،٢٤٠.

(٣) سورة يوسف: ٢٠.

(٤) ينظر: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: جماعة من العلماء ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ١١٥.

(٥) يُنظر: تاج العروس، مادة " ز – ه –د"، ١٥١/٨.

الورع ترك ما يضر من أمور الدنيا، بينما الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، وهذا أعلى من ترك ما يضر، لأنه يدخل في الزهد الطبقة الوسطى التي ليس فيها ضرر ولا نفع، فالزاهد يتجنب ما لا ينفعه في الآخرة، وأما الورع فيفعل ما أبيح له، لكن يترك ما يضره في الآخرة(١).

والورع نوعان: مندوب: وهو ترك الشبهات، وواجب وهو ترك المحرمات وقد جمع الرسول ﷺ الورع في قوله: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ _ﷺ_ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"(٢)، قال أبو سليمان الداراني: "الورع أول الزهد كما أن القناعة أول الرضا"(٣)، ويتبين مما سبق السبب الجوهري وراء اختيار الرسول _ﷺ_ للفظ "ازهد" دون "تورع" ؛ لأن الزهد يحمل معنى الترفع عن كل شيء لايؤدي إلى الجنة وهذا ما أراد الحبيب_ ﷺ _غرسه في الأمة لأن الزهد هو مفتاح لأمرين عظيمين، الأول: أن من زهد في الدنيا أحبه الله، ومحبة الله للعبد أسمى الغايات وأشرفها ؛ لذلك قدمها الرسول _ﷺ_ في الحديث حتى يوقد الشوق في النفوس ويحثها على الإقدام نحو الزهد؛ حيث إن المحبة عاطفة تتملك الإنسان وتقوده حيث شاءت فإن كانالزهد ناتجا عن محبة الله، فقد ظفر العبد بمحبة تضبط مساره وتقوده إلى الجنان، ولذلك قال (يُحبك الله) هو بالجزم على أنه جواب ازهد، و"الدنيا": هي هذه الدار التي نحن فيها،وسميت بذلك لوجهين:

الوجه الأول: دنيا في الزمن، الوجه الثاني: دنيا في المرتبة.

وأما الأمر الثاني الذي يوجب محبة الناس فهو في قوله ﷺ: (وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ) أي لا تتطلع لما في أيديهم، وهذا يتضمن ترك مسألة

(١) شرح ابن عثيمين، مرجع سابق: ٣١٨.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، ٥٥٨/٤.

(٣) موسوعة الأخلاق و الزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ١٤١.

الناس، لأن العبد إذا سألهم أثقل عليهم، وكان ناقصًا بالنسبة لهم [١]، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى.

لقد كان أسلوب الرسول الكريم فيه حكمة بالغة، وهي هداية الناس إلى الطريق الصحيح لمحبة الله لهم، ومحبة الناس، وهذان الأمران إن حصلا للعبد فقد كسب الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى، لذا كانت ألفاظ الحديث مساوية تمامًا للمعنى الذي أراده الحبيب ﷺ، دون زيادة أو نقصان، فكان أوقع في النفوس،وأبلغ في العقول، وتلاحظ أن شرف المحبة تُكتسب بأمر يسهل عمله، وهو الزهد في الدنيا، فإعطاء الإنسان جائزتين على عمل واحد ميسر لدليل على العناية الفائقة به وفيه تأكيد على دوام إنجازه وحمله على الإتيان بالزهد عن رضا وقناعة تامتين.

وتلاحظ أن الألفاظ أدت المعاني المقصودة دون زيادة أو نقصان، وهذا راجع إلى استخدام أسلوب المساواة وتفعيله في النص من خلال ائتلاف اللفظ مع المعنى.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن المساواة من صلب البلاغة العربية، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمساواة تأتي لأن المقام والسياق يتطلبها، حيث لا يستدعي المقام والسياق إيجازا أو إطنابا فعندئذ تكون المساواة هي قمة البلاغة في التعبير.

(١) شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين، مرجع سابق: ٣١٩/١.

المطلب الثاني: الجناس

الجناس في اللغة: مصدر جانس الشيء بالشيء، أي شاكله، واتحد معه في الجنس . يقول صاحب لسان العرب: " والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله [(١)].

وفي الاصطلاح: " هو أن يتشابه اللفظان في النطق (الحروف)، ويختلفان في المعنى . على أن التشابه قد يكون تاما في كل الحروف، و قد يكون في بعضها دون البعض" [(٢)].

ويتفق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي، في أن اللفظين يُشاكلان ويُشابهان بعضهما في النطق ويختلفان في المعنى.

و الجناس هو لون من ألوان الجمال اللفظي، له أثر موسيقي قوي على السامع،وهذا ينبع من تكرار الحروف و ترديدها، و تقابل الألفاظ المتشابهة، كما أن الجناس ينشط الذهن و يطرد السآمة، و يسهم إسهاما كبيرا في إيضاح المعاني و زيادة الإفادة، وهو لا يكون كذلك إلا إذا جاء عفو الخاطر، وسمح به الطبع من غير أن تبدو عليه لوثة الصنعة والتكلف، وإلا شوّه العبارة، وأدى إلى التعقيد[(٣)].

ولقد تكلم البلاغيون والنقاد عن الجناس، وبلاغته فقال فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني: " كأنه يخدعك عن الفائدة، وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها "[(٤)] .

---

(١) يُنظر: لسان العرب، مادة " ج – ن – س"٦/٤٣.

(٢) يُنظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، ط١، (دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م)،٢/٤٩٧.

(٣) يُنظر: أساليب الأداء البياني والبديعي في شعر مجنون ليلى، هدى عسكر، مجلة الأستاذ، العدد ١٤٣٣،٢٠٣هـ-٢٠١٢م:٤٤٧

(٤) أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني،د. ط، ت: محمود محمد شاكر،(القاهرة مطبعة المدني، وجدة: دار المدني، د.ت)، ٨

وهذا يعني أن الجناس يحمل عنصر المفاجأة، وخداع الأفكار، لأنه يوهم السامع أن اللفظ قد تكرر ولا فائدة سيجنيها من ذلك، ولكن سرعان ما يدرك ببديهته، وفكره أنه خُدِعَ [١]، وأن اللفظ الآخر يحمل معنى آخر غير المعنى المتوقع، فيكون له أثر حسن في النفس، ووقع جميل في القلب .

ويقول ابن حجة الحموي: " ويحسن الجناس إذا قلَّ، وأتى في الكلام عفوا من غير كدٍّ، ولا استكراه، ولا بعد، ولا ميل إلى جانب الركاكة "[٢]، " فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه، واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بديلا، ولا تجد عنه حولا، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأ حقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه"[٣]

ومن أوائل من فطن إلى الجناس عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي، فقد عده في كتابه "البديع " ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى، وعرفه، ومثل للحسن والمعيب منه بأمثلة مختلفة [٤] .

وقد اختلفت نظرة البلاغيين والنقاد على مر العصور إلى الجناس، وبيان قيمته الفنية، فمنهم أبدى إعجابه به، واعتبره غرة شادنة في وجه الكلام، ومنهم من عده " من أنواع الفراغ، وقلة الفائدة، ومنهم من شك في تكلفه، ولم يحتج به، لكثرة استعماله إلا من قصرت همته عن اختراع المعاني "[٥].وقد ذكره أرسطو في خطاباته وحدده بأن يكون المكرر وإن كان لفظين في المسموع فهو

---

(١) مقالة ظواهر أسلوبية في ديوان أحد عشر كوكبًا لمحمود درويش، مؤسسة محمود درويش للإبداع، إبراهيم نمر موسى،٢٠١١/٩/٢٧م.

http://www.mahmoddarwish.com/?page=details&newsID=489&cat=19

(٢) خزانة الأدب، الحموي، مرجع سابق،٥٥/١

(٣) أسرار البلاغة، مرجع سابق، ١١

(٤) البديع في البديع، عبد الله بن محمد المعتز بالله، ط١، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)،٥٥.

(٥) خزانة الأدب، مرجع سابق،٥٥

مختلف في المفهوم، وذلك ما ذكره قدامة في تعريفه لهذا اللون الذي سماه المطابق والمجانس[١]، وسبقه إلى ذلك أستاذه ثعلب؛ حيث ذكر المطابق وعرفه بأنه تكرير اللفظ بمعنيين مختلفين[٢]، كما بين أرسطو بلاغته وآثاره في الكلام مما احتذاه فيه عبد القاهر في الأسرار[٣].

وكان العجاج يُسمِّي هذا الباب عطف الرجز[٤]،وألف الأصمعي كتاب الأجناس[٥]، وكان الأصمعي يدفع قول العامة: هذا مجانس لهذا، إذا كان من شكله، ويقول: ليس بعربي خالص. وابن المعتز هو أهم من درس التجنيس وجمعه، قال: التجنيس أن تجيء الكلمة تُجانس أُخرى في بيت شعر أو كلام، والمجانسة أن تشبه اللفظة في تأليف حروفها على الوجه الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليه، ولم يكن القدماء يعرفون هذا اللقب، وقد صنف الناس فيه كتبًا كثيرة وجعلوه أبوابًا متعددة؛ كابن المعتز والحاتمي والقاضي الجرجاني وقدامة وغيرهم[٦].

وقد شغفت طائفة من الأدباء بهذا النوع البديعي، فكان في القرن السادس الهجري يؤلف والطباق مذهبًا أسلوبيًا خاصًا، يتصنعه الشعراء كثيرًا، أما في القرن السابع الهجري فقد أُهمل الطباق بعض الإهمال، واشتدت العناية بالجناس، وكثرت حوله المؤلفات من أدباء هذا المذهب (٨). وكثرت أنواعه وأقسامه، حتى أن جلال الدين السيوطي عدَّ أصول أنواع الجناس ثلاثة عشر نوعاً تحت

---

(١) نقد الشعر، مرجع سابق، ٩٦.

(٢) قواعد الشعر، أحمد بن يحي بن سيار الشيباني، ط٢، ت: رمضان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٥م)، ٢٤.

(٣) أسرار البلاغة، مر جع سابق: ٥و١٢و١٤

(٤) العمدة، مرجع سابق، ٢٩٩/١.

(٥) البديع، مرجع سابق،٥٥.

(٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد،د.ط، ت: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت)، ٩٨

كل نـــوع منها عـــدة أقســـام، استخرجها، وحصرها، ووصل بها إلى أربعمائـــة قسم (٩) .

أقسام الجناس:

١- الجناس اللفظي، وأنواعه:

أ- الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة : نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

ب- الجناس غير التام: وهو ما اختلف اللفظان فـــي أحـــد الأمـــور الأربعـــة المذكورة (النوع والعدد والهيئة والترتيب).فالاختلاف في عدد الحرف.

ت- الجناس المطلق: وهو توافق اللفظين في الحروف وترتيبهـــا، بـــدون أن يجمعهما اشتقاق. وإن جمعهما اشتقاق سمي جناس الاشتقاق.

ث- الجناس المذيّل :وهو ما يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره.

ج- الجناس المطرّف: وهو ما يكون الاختلاف بزيادة حرفين في أوله.

ج- الجناس المضارع: وهو ما يكون باختلاف اللفظين في حرفين، مع قـــرب مخرجهما.

د- الجناس اللاحق: وهو ما يكون باختلاف اللفظين في حـــرفين، مـــع بعـــد مخرجهما.

ك-ـــ الجناس التلفّظي: وهو ما اختلف ركناه خطاً مع اتحادهما في التلفّظ.

ل - الجناس المحرّف: وهو ما اختلف اللفظان في هيئات الحروف من حيـــث الحركات،

م- ـــالجناس المصحّف :وهو ما اختلف اللّفظان من حيث التنقيط، بحيث لـــو زالت النُقَط لم يتميّز أحدهما عن الآخر.

ن- الجناس المركّب :وهو ما اختلف اللفظان من حيث التركيب والإفراد.

ه- الجناس الملفّق :وهو ما كان اللّفظان كلاهما مركّباً،

و- جناس القلب :وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف.

ي- الجناس المستوى :وهو من جناس القلب، ويسمّى أيضاً: (مالا يستحيل بالانعكاس) وهو ما لا يختلف لو قرئ من حرفه الاخير إلى الأوّل معكوساً ومقلوباً، وانّما يحصل بعينه.

٢- أقسام الجناس المعنوي، وهو نوعان:

أ ــ جناس الإضمار: وهو أن يأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظاً آخر، واللفظ الآخر يُراد به غير معناه بدلالة السياق.

ب- جناس الاشارة: وهو ما ذكر فيه أحد اللفظين وأشير للآخر بما يدلّ عليه.

وقد وقع الجناس في الحديث الشريف، فكان في غاية الروعة، وقمة الفصاحة، وذروة البلاغة، بل كان ضربا من ضروب الإعجاز البلاغي في نظمه، إذ يعطي للمعاني قوة، ويضفي على الألفاظ جزالة، ويسكب في الآذان موسيقى رائعة ساحرة، ويصنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الطيبة[١].فهو جناس حسن، غير متكلف، له بديع الأثر في إبراز المعنى المقصود، وجمال الأسلوب، وإيضاح الصورة، وزيادة تأثيرها، ويدخل في نفس المتلقي بهجة ومتعة وراحة .

ومن الطبعي ألا تجد في الحديث النبوي بعض أنواع الجناس المختلفة، وتقسيماته المتنوعة، التي وصلت إلى أربعمائة قسم كما حصرها جلال الدين السيوطي . لأن أكثر هذه المسميات تنطبق على الشعر، وليس جميعها مما يدخل في حوزة النثر، وفيما يلي تطبيق لأبرز ما جاء من الجناس في الحديث النبوي .

الحديث الأول: عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ-وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ-: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى

(١) مقالة بلاغة الجناس في القرآن الكريم، أحمد عبد المجيد خليفة، موقع جامعة أم القرى، الأبحاث العلمية. http://uqu.edu.sa/page/ar/43947

مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)[١].

في هذا الحديث الشريف يعلّم رسول الله ـﷺـ أمته كيفية خلقهم، حيث يوضح لهم المراحل التي يمر بها الجنين، كما يُبين كتابة أقدارهم وأرزاقهم، ويُعد الحديث من الإعجاز العلمي في مجال الطب، وهو مما يُدلل على إخبار النبي ـﷺـ بأمور سبق بها العلم . ولا تجد في هذا الحديث ذكر لتصوير الخلق متى يكون، لكن فيه أن الملك يكتب رزقه وأجله، وعمله وشقي أم سعيد، قبل نفخ الروح وبعد أن يكون مضغة.

وقد افتتح النبي ـﷺـ كلامه بأقوى أدوات توكيد الخبر وهي "إنّ"، لأنه سيخبر عن أمور يجهلها المستمع، والتوكيد هو أفضل وسيلة لقطع الشك باليقين في الأذهان،فالجملة الخبرية موضوعة للدلالة على قصد المتكلم، ولإثبات ما يُخبر به، ولذلك أثبت ـﷺـ الخبر "بإنّ" حتى لا يدع مجالًا للشك أو التردد في الأذهان.

وأول لطائف الجناس في الحديث قوله: ﷺ (وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ،)، جناس ناقص، فلفظة "أجل" أو الأَجَلُ: غايةُ الوقت في الموت وحُلول الدَّين ونحوه. والأَجَلُ: مُدَّةُ الشيء[٢]. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾[٣] أي حتى تقضي عدّتها [٤].

وتجد بأن الرسول الكريم قد ا ختار كلمة أجله دون موته لما فيها من بلاغة تناسب السياق، حيث إن لفظة " الأجل " تدل على مدة حياة المرء[٥]،أي مدة بقائه في هذه الدنيا، والناس يختلفون في الأجل اختلافاً متبايناً، فمن الناس من يموت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٤/ ١١.

(٢) يُنظر: لسان العرب، مادة " أ – ج – ل":١١/١١،

(٣) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير البصري، ط١، ت: محمد حسين شمس الدين،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩م) ، ٤٨٤.

(٥) يُنظر لسان العرب، ١١/١١، مادة " أ – ج – ل".

حين الولادة، ومنهم من يعمر إلى مائة سنة من هذه الأمة، أما من قبلنا من الأمم فيعمرون إلى أكثر من هذا، فلبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهذا الأجل لا يتقدم لحظة ولا يتأخر، فإذا تم الأجل انتهت الحياة(١)، قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (٢)، بينما لفظة " الموت" فهي ضد الحياة(٣)، وتعني لحظة وفاة المرء وانتقاله إلى العالم الآخر، وهذا غير المقصود وإنما يُقصد قدر العبد طوال أيام حياته وحتى مماته وهذا ما تعنيه لفظة الأجل ولذا اختارها النبي ﷺ، لأنها تأتلف مع المعنى الذي رامه ﷺ.

أما قوله ﷺ: (وَعَمَلِه) أي ما يكتسبه من الأعمال القولية والفعلية والقلبية، فمكتوب على الإنسان العمل(٤)، وهو فعل الجارحة، الذي يبرز عن فعل القلب وهو العلم وينقلب عنه(٥)،ولهذا اختار النبي ـ ﷺ ـ لفظة العمل دون غيرها، ولأنها الأقدر على إيصال المعنى المقصود.

وبهذا كان أسلوب الجناس في هذا الحديث مناسبًا ومؤتلفًا مع الألفاظ والمعاني التي أراد النبي ﷺ الإخبار عنها .

* الحديث الثاني: عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)(٦).

إن المتطلع إلى مبادئ ديننا الحنيف، لتبهره جوانب التكامل في تشريعاته، مما يجعله موقنا بتفرد الإسلام في شموليته، فهو يدعو الإنسان إلى أن يحسن صلته بخالقه، وفي الوقت ذاته يضع الأسس المتينة، والقواعد الراسخة في تعامله

(١) ينظر: الأربعين النووية، مرجع سابق: ٨٥ و٨٦.

(٢) سورة المنافقون: ١١.

(٣) يُنظر: لسان العرب، ٢/٩٠، مادة "م – و – ت".

(٤) شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين، مرجع سابق: ٨٦.

(٥) معجم الفروق اللغوية، مرجع سابق: ٣٢٢و٣٢٣.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ٣/١٥٤٨.

مع غيره من الخلق، وفي هذا الحديث نجد أن الأمر بالإحسان جاء في الرفق بالحيوان في طريقة قتله أو ذبحه.

وأول لطائف الجناس قوله ﷺ: (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ) والفرق بينهما: أن المقتول لا يحل بالقتل فمثلًا لو أراد إنسان أن يقتل كلباً مؤذياً، فنقول: أحسن القتلة. وكذا إذا أراد أن يقتل ثعباناً فنقول: أحسن القتلة، وأما إذا ذبح فنقول: أحسن الذبحة، وهذا فيما يؤكل، أي يحسن الذبحة بكل ما يكون فيه الإحسان، ولهذا قال: "وَلْيُحدّ أحدكم شَفْرَته" أي السكين، وحدُّها يعني حكها حتى تكون قوية القطع، أي يحكها بالمبرد أو بالحجر أو بغيرهما حتى تكون حادة يحصل بها الذبح بسرعة، دون أن يؤذي الذبيحة، ولهذا أكد _ﷺ_ بقوله: (وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ) اللام للأمر، أي وليرح ذبيحته عند الذبح بحيث يمر السكين بقوة وسرعة(١).

وأول لطائف الائتلاف في الحديث هو الجناس المطلق بين الاسم والفعل، فالجناس الأول الذي وقع بين لفظتي " قتلتم و القتلة" ترجعان إلى أصل واحد وهو القتل، وكذلك الجناس الثاني الذي وقع بين لفظتي "ذبحتم والذبحة" ترجعان إلى أصل واحد أيضًا وهو الذبح على سبيل الجناس المطلق، ويسمى هذا النوع بالمتلاقيان في الاشتقاق (٢).ففي قوله ﷺ: (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ) ، لقد عبّر رسول الله _ﷺ_ بلفظة القتل دون غيرها، لأنها أبلغ في أداء المعنى ؛ حيث إن قَتَله تعني أماته بضرْب

أَو حجَر أَو سُمّ أَو علَّة(٣).لذلك جاء التوجيه النبوي إلى الإحسان في هيئة القتل، ويكون ذلك بالإسراع في إزهاق النفس التي أبيح دمها حال القصاص أو حال الحرب، ولئن جاز للمسلمين معاملة من حاربهم بالمثل، فإن ذلك لا يبيح لهم

(١) شرح الأربعين النووية، مرجع سابق، ١٨٥.

(٢) البلاغة العربية، مرجع سابق، ٤٩٨/٢.

(٣) يُنظر: لسان العرب،، مادة (ق- ت- ل) ، ١١/، ٥٤٧.

التمثيل بالقتلى، والتشويه للجثث، لما في ذلك من منافاة للمثل العليا التي يدعو إليها ديننا الحنيف[١] .

هنا تجد أن لفظة قتل أدت المعنى على أكمل وجه حيث إن القتل يناسب البشر ولا يناسب غيرهم، فبالرغم من بشاعة لفظة القتل وما تحمله من معنى إزهاق الروح عمدًا إلا أن الحبيب ﷺ أمر بالإحسان في ذلك بكل ما تحمله كلمة الإحسان من معنى الرفق والرحمة، وهذا يؤكد حرص الإسلام على اختيار أيسر الطرق المؤدية إلى خروج الروح عند تحتّم القتل.

لذا جاء ائتلاف اللفظ مع المعنى في هذا الحديث متناسبا مع ما يخدم أداءهما على الوجه المطلوب.

ثم انتقل الحديث بعد ذلك إلى قضية الإحسان في الذبح، بآدابه الراقية التي تجسد معاني الرفق بالحيوان، وقد ذكر العلماء هذه الآداب في كتب الفقه، وأسهبوا في شرحها، فمن ذلك: أن يذبح البهيمة بآلة حادة، تعجّل من خروج روحها، وإنهار دمها، فلا تتعذب كثيرا، فقال ﷺ : (وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ)، فالذبح في اللغة: " قَطْعُ الحُلْقُوم من باطنٍ عند النَّصِيل، وهو موضع الذَّبْحِ من الحَلْق "، والذبيحة "الشاة المذبوحة"[٢]، كقول أبي ذؤيب:

وَسِرْبٍ تَطَلَّى بِالْعَبِيرِ كَأَنّهُ دِمَاءُ ظِبَاءٍ بِالنُّحُورِ، ذَبِيحُ[٣]

لقد كان لدى الرسول ﷺ من البلاغة والفصاحة، ما يجعله يختار اللفظ الذي يُناسب المعنى المقصود، فلمَّا كان القتل خاصًا بالبشر اختاره دون غيره، في حين أن الذبح يُعبِّر عن إخراج روح الحيوان،لذا اختار هذا اللفظ لمَّا كان المقصود بالخبر الحيوان . لقد كان لائتلاف اللفظ مع المعنى دور بارز في أداء المعنى المراد؛ بحيث يسهل على المتلقي إيجاد الصلة بين اللفظ والمعنى.

---

(١) شرح الأربعين النووية، مرجع سابق،١٨٦.

(٢) يُنظر: لسان العرب، مادة (ذ- ب- ح) ، ٤٣٦/٢،

(٣) ديوان الهذليين، مرجع سابق: ١/ ١١٧

المطلب الثالث: الإرداف

الإرداف: "هو أن يريد المتكلم دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، ولذلك سُمي بالتبع [١].

أما الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره [٢]، فأئمة البديع، كقدامة والحاتمي والرماني، قالوا: إن الفرق بينهما ظاهر، فالإرداف :هو أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [٣]، فإن حقيقة ذلك رست على المكان، فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى لفظ هو رديفه، وإنما عدل عن لفظ الحقيقة، لما في الاستواء الذي هو لفظ الإرداف، من الإشعار بثبات متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من لفظ جلست وقعدت[٤]، أما عند علماء البيان فالكناية هي الإرداف بعينه،حيث إن المتكلم إذا أراد إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو ردفه في الوجود فيومئ إليه، ويجعله دليلًا عليه، مثال ذلك قولهم: طويل النجاد، كثير الرماد، يعنون بذلك أنه طويل القامة، كثير القرى. فلم يذكروا المراد بذكره الخاص به، ولكن توصلوا إليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود، ألا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كثر القرى كثر الرماد؟ [٥]. ومن خلال تتبع المصطلحين تبين أن الكناية و الإرداف شيئًا واحدًا بدليل تعريفهما في الاصطلاح الذي يدور حول التعبير عن المعنى بلفظ هو ردفه وليس باللفظ الموضوع له في اللغة.

---

(١) تحرير التحبير، مرجع سابق، ٢٠٧،و بديع القرآن، عبد العظيم بن أبي الإصبع المصري،ت: محمد حفني شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ٨٣.

(٢) معجم المصطلحات، مرجع سابق، ١٥٤.

(٣) سورة هود آية: ٤٤.

(٤) يُنظر: خزانة الأدب، مرجع سابق ، ٣٠٩/٢.

(٥) يُنظر: المرجع السابق، . ٢٦٣/٢.

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى:

١- كناية عن صفة: وهي التي يُطلب بها نفس الصفة، كالجود والشجاعة.

٢- كناية عن موصوف: وهي التي يُطلب بها نفس الموصوف، بشرط أن تكون الكناية مختصة[١] بالمكنى عنه ولا تتعداه.

٣- كناية عن نسبة: ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، بمعنى تخصيص الصفة بالموصوف[٢] .

●الحديث الأول: عَنْ عُمَرَ ﷺ أَيْضًا قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْت . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟. قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ " [٣].

إن من هدي النبي ﷺ ـ مجالسة أصحابه وهذا الهدي يدل على حسن خلقه، إذ ينبغي للإنسان أن يكون ذا عِشرة مع الناس ومجالسة وألا ينزوي

---

(١) يُنظر: مفتاح العلوم، يوسف لن أبي بكر بن محمد السكاكي، ط٢، ت: نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ٤٠٤.

(٢) يُنظر: المرجع السابق، ٤٠٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، ٣٩/١.

عنهم، فمجالس الذكر والعلم حث عليها ديننا الحنيف، لأنه يحصل منها العبد على إثراء المعرفة، كما تفتح له آفاقًا جديدة،يفيد منها في حياته العلمية والعملية، ومراتب الدين في هذا الحديث الشريف، أصبحت واضحة بينة بالنسبة للصحابة أولا _ رضوان الله عليهم _ وللأمة من بعدهم.

وأول لطائف الإرداف قول الرسول ﷺ: (أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا)، وفي لفظ: (ربَّهَا)[١] والمعنى: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ أي الرقيقة المملوكة رَبَّهَا أي سيدها، أو :ربَّتَها، والمراد بالأمة العين والجنس حيث اختلف العلماء في ذلك، فمنهم من قال: المراد أن تلد الأمة ربها، يعني أن تلد الأمة من يكون سيداً لغيرها لا لها، فيكون المراد بالأمة: الأمة بالجنس[٢].

وقيل المعنى: إن الأمة بالعين تلد سيدها أو سيدتها، بحيث يكون الملك قد أولد أمته، ومعنى أولدها أي أنجب منها، فيكون هذا الولد الذي أنجبته سيداً لها: إما لأن أباه سيدها، وإما لأنه سوف يخلف أباه فيكون سيداً لها ولكن المعنى الأول أقوى، في أن الإماء يلدن –من يكونوا أسياداً ومالكين، فهي كانت مملوكة في الأول، وتلد من يكونوا أسياداً مالكين بعد ذلك. وهنا كناية عن صفة تغير الحال بسرعة[٣]، فقوله: (إذا ولدت)التعبير "بإذا" للإشعار بتحقق الوقوع، ووقعت هذه الجملة بيانا للأشراط نظرا إلى المعنى، والتقدير ولادة الأمة[٤]، والمراد بالرب المالك أو السيد . وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في معنى ذلك، وقد لخصتها بلا تداخل فإذا هي أربعة أقوال:

الأول: معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية و استولدها كان الولد منها بمنزلة ربها لأنه ولد سيدها . قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين لكن في كونه المراد نظر ؛ لأن استيلاد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، ١/٤٠.

(٢) يُنظر: شرح الأربعين النووية، مرجع سابق،٢٢

(٣) المرجع السابق،٢٥

(٤) يُنظر: فتح الباري، مرجع سابق، ١/١٢١.

الإماء كان موجودا حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة، وقد فسره وكيع فقال: أن تلد العجم العرب، ووجهه بعضهم بأن الإماء يلدن الملوك فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد رعيته، غير أن الرؤساء في الصدر الأول كانوا يستنكفون غالبا من وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر، ثم انعكس الأمر ولا سيما في أثناء دولة بني العباس[١]، ولكن رواية " ربتها " بتاء التأنيث قد لا تساعد على ذلك . ووجهه بعضهم بأن إطلاق " ربتها " على ولدها مجاز ؛ لأنه لما كان سببا في عتقها بموت أبيه أطلق عليه ذلك، وخصه بعضهم بأن السبي إذا كثر فقد يسبى الولد أولا وهو صغير ثم يعتق ويكبر ويصير رئيسا بل ملكا ثم تسبى أمه فيما بعد فيشتريها عارفا بها. وقد لا يشعر أنها أمه، فيستخدمها أو يتخذها موطوءة أو يعتقها ويتزوجها[٢] .

وقد جاء في بعض الروايات (أن تلد الأمة بعلها)[٣]،وهي عند مسلم فحمل على هذه الصورة، وقيل المراد بالبعل المالك وهو أولى لتتفق الروايات[٤] .

الثاني: أن تبيع السادة أمهات أولادهم ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك، وعلى هذا فالذي يكون من الأشراط غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد أو الاستهانة بالأحكام الشرعية . فإن قيل: هذه المسألة مختلف فيها فلا يصلح الحمل عليها ؛ لأنه لا جهل ولا استهانة عند القائل بالجواز، قلنا: يصلح أن يحمل على صورة اتفاقية كبيعها في حال حملها، فإنه حرام بالإجماع[٥] .

---

(١) يُنظر: فتح الباري، مرجع سابق، ١٢٣/١

(٢) المرجع السابق، ١٢٢/١.

(٣) صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الإيمان، ٣٩/١، ح٩.

(٤) لسان العرب، مادة "ب- ع- ل"، ٥٧/١١.

(٥) يُنظر: فتح الباري، مرجع سابق، ١٢٤/١.

الثالث: وهو من نمط الذي قبله، لا يختص شراء الولد أمه بأمهات الأولاد، بل يتصور في غيرهن بأن تلد الأمة حرا من غير سيدها بوطء شبهة، أو رقيقا بنكاح أو زنا ثم تباع الأمة في الصورتين بيعا صحيحا وتدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها .

الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام . فأطلق عليه ربها مجازا لذلك. أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه ؛ ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة . ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربى مربيا والسافل عاليا، وهو مناسب لقوله _ ﷺ _في العلامة الأخرى أن تصير الحفاة ملوك الأرض [١] .

ولفظ (ربها) في الحديث جاء على سبيل المبالغة، وهو لا يُعد دليلا على إباحة إطلاق اللفظ، لقوله ﷺ: (لا يَقُلْ أَحَدُكُمُ: اسْقِ رَبَّكَ أَوْ أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلايَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ، فَتَاتِي غُلامِي)[٢].

وقوله ﷺ: (وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)،هنا كناية عن صفة الفقر والحاجة، تَطَاوَلَ أَيْ تَفَاخَرُوا فِي تَطْوِيلِ الْبُنْيَانِ وَتَكَاثَرُوا بِهِ [٣]، (الحفاة العراة) مُبَالَغَةً فِي وَصْفِهِمْ بِالْجَهْلِ، فمِن انْقِلَابِ الدِّينِ تَفَصُّحُ النَّبَطِ وَاتِّخَاذُهُمُ الْقُصُورَ فِي الْأَمْصَارِ، والْمَقْصُودُ الْإِخْبَارُ عَنْ تَبَدُّلِ الْحَالِ بِأَنْ يَسْتَوْلِيَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ عَلَى الْأَمْرِ وَيَتَمَلَّكُوا الْبِلَادَ بِالْقَهْرِ فَتَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ وَتَنْصَرِفُ هِمَمُهُمْ إِلَى تَشْيِيدِ الْبُنْيَانِ وَالتَّفَاخُرِ بِهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ[٤]، فَإِنْ

(١) يُنظر: فتح الباري، مرجع سابق، ١٢٣/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العتق،باب كراهة التطاول على الرقيق، ١٥٠/٣.

(٣) لسان العرب،، مادة (طـو ـل)، ٤١٢/١١.

(٤) يُنظر: فتح الباري، مرجع سابق، ١٢٣/١.

قِيلَ الْأَشْرَاطُ جَمْعٌ وَأَقَلُّهُ ثَلَاثَةٌ عَلَى الْأَصَحِّ وَالْمَذْكُورُ هُنَا اثْنَانِ ولادة الأمة ربتها وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان، وقد أَجَابَ الْكِرْمَانِيُّ بِأَنَّهُ قَدْ تُسْتَقْرَضُ الْقِلَّةُ لِلْكَثْرَةِ وَبِالْعَكْسِ أَوْ لِأَنَّ الْفَرْقَ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي النَّكِرَاتِ لَا فِي الْمَعَارِفِ،أَوْ لِفَقْدِ جَمْعِ الْكَثْرَةِ لِلَفْظِ الشَّرْطِ وَفِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَجْوِبَةِ نَظَرٌ وَلَوْ أُجِيبَ بِأَنَّ هَذَا دَلِيلُ الْقَوْلِ الصَّائِرِ إِلَى أَنَّ أَقَلَّ الْجَمْعِ اثْنَانِ لَمَا بَعُدَ عَنِ الصَّوَابِ وَالْجَوَابُ الْمَرْضِيُّ أَنَّ الْمَذْكُورَ مِنَ الْأَشْرَاطِ ثَلَاثَةٌ وَإِنَّمَا بَعْضُ الرُّوَاةِ اقْتَصَرَ عَلَى اثْنَيْنِ مِنْهَا لِأَنَّهُ هُنَا ذَكَرَ الْوِلَادَةَ وَالتَّطَاوُلَ[1] .

وقد قدَّم لنا الرسول الكريم ـ ﷺ ـ في هذا الحديث الشريف معطيات التغير السريع وانقلاب أحوال الناس، فالأول: أن الأم يعاملها ابنها وكأنها عبدة لديه وهو سيدها عقوقًا بها، فتلاحظ أن عقارب الزمن قد تمثلت أمامك، وأن شريط الحدث تشاهده بعقلك وكأنك تراه بعينك، فالتغير السريع واختلال الموازين تجسده حال هذه الأمة بين ماضيها وحاضرها ومن ثم الانتقال السريع إلى المستقبل باعتبار ما سيكون عليه ابنها من العقوق وكأنه يمتلكها، كل هذا الحدث وما فيه من عناصر الزمن والحركة عبَّر عنه الرسول الكريم بثلاث كلمات، تدل صراحة على بلاغته ـ ﷺ ـ في أن يُعبر على المعاني الكثيرة بألفاظ موجزة قليلة، إذ أوتي جوامع الكلم، بالإضافة إلى استخدام أسلوب الكناية الذي أضفى على العبارة رونقًا بديعًا، وجمالًا جعل المعنى ينساب إلى الأسماع في سلاسة و عذوبة، وقد حملت المعنى في صورة بديعة إلى الأذهان لتكون أقوى في إدراكه لهذه العلامة العظيمة من علامات الساعة والتي سيترتب عليها تبعات كثيرة، منها انقلاب علاقة الابن بأمه، واندثار قيمة البرّ، والاعتبار بالمصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة.

والثاني: أن الحفاة العراة الذين هم في ضنك من العيش يدل على ذلك وصفهم، إذ لا يملكون رقعة تكسوهم ولا حذاء يحتذونه، فوظيفتهم رعاية الماشية، التي تُعد مصدر غذائهم الرئيس، هذه هي حالهم المزرية والتي يشفق

(١) فتح الباري ، ١/١٢٢و١٢٣.

عليهم الناس من السماع بوصفهم فكيف بمن رآهم! هؤلاء الذين لا يتوقع أحد بأن يتغير حالهم، سرعان ما تنقلب موازين الحياة ليصبحوا أصحاب بنيان يتنافس كل منهم ليجعل بنيانه أعلى وأطول من غيره، فالتطاول صار غاية في نفوسهم تفاخرًا، وكأنّ الغاية من ذلك أن يبرز الواحد منهم بنيانه وكأنه علم من أعلام الدنيا التي لا تخفى على أحد من الناس، فالجميع يعرفهم من بنيانهم الذي بنوا، فقد أصبحوا أصحاب مال وأملاك، وهذا الانقلاب والتحول الكبير من حال الفقر إلى الثراء الفاحش جعله رسول الله_ ﷺ _ من علامات الساعة، التي تنبئ بقرب وقوعها، وتلاحظ أن الرسول _ ﷺ _ ذكر من العلامات ما يكون علامة تحول كبير ومفاجئ لتكون علامات لقرب وقوع الساعة، كما استخدم المبالغة للدلالة على عظم الأمرين، ومدى ارتباط قيام الساعة بهما، وترك التصريح إلى الكناية التي جعلها سمة للإخبار بهاذين الحدثين العظيمين، لأجل أن يُعمل العقول بالتفكر من خلال تجسيد المشهدين الذين يدلان قطعًا على قيام الساعة.

*الحديث الثاني: عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك، وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" (١). وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ ﷺ قَالَ: أَتَيْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ؟ قُلْت: نَعَمْ. فَقَالَ: استفت قلبك، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاك النَّاسُ وَأَفْتَوْك" (٢).

ولمّا كانت المعاصي أمر مكتوب وليس إنسان يُعصم منها – أيّا كان جنسه وهيئته ومكانته _ إلا الأنبياء، لذا أخبر الرسول _ ﷺ _ عن الطريقة الفعالة في الكشف عن الإثم حتى ينتبه العبد لأدق تفاصيل حياته، ويحذر من كل ما من شأنه أن يُدخله في ممرات المعاصي. وهذه الطريقة تُعدّ غربالًا علميًا للكشف عن الإثم، باستخدام ضمير العبد المؤمن.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم.

(٢) مسند أحمد بن حنبل،كتاب الشاميين، باب حديث وابصة بن معبد الأسدي نزل الرَّقَّة، ٢٩ / ٥٢٣.

فقوله ﷺ: (وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك،) الصدر هنا بمعنى الضمير، أي يتردد في الضمير صوت مؤلم نتيجة الندم على فعل المعصية،وهو كناية عما يتركه الإثم في الضمير، من القلق وعدم الارتياح والشعور المفرط بالذنب، وأطلق " الصدر" على الضمير لأن الصدر في كلام العرب يطلق على الإحساس الباطني.

ويمكن التفريق بين الإثم وما يرادفه فالسيئة هي: ما يسوء الإنسان في دنياه أو آخرته[١]، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾[٢]،والخطيئة: من الخطأ، وهو عدم الإصابة، وقد يكون عن عمد، وقد يكون عن غير عمد وهو الأكثر، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[٣].

فالخطيئة والسيئة يتقاربان، لكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصوداً إليه، بل يكون القصد سبباً لتولد الفعل منه[٤]، كقوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾[٥] كما أن هناك فرقًا آخر أن السيئة تقال فيما يقصد بالذات، والخطيئة: تغلب فيما يقصد بالعرض، لأنه من الخطأ[٦].

أما الفرق بين الذنب والإثم، ففي اللغة: الذنب في الأصل الأخذ بذَنبِ الشيء، ويستعمل في كل فعل تُخشى عقباه اعتباراً بذنب الشيء، ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتباراً لما حصل من عاقبته[٧].

---

(١) لسان العرب، مادة " س – ا – ء"، ٩٧/١.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٢٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٨٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن الكريم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط١، ت: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ١٤١٢)، ٢٨٧/١.

(٥) سورة البقرة آية: ٨١.

(٦) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الخلوتي، د.ط، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ٣٣٧/٣.

(٧) الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية،زين الدين محمد بن زين العارفين المناوي، د.ط، ت: عبد القادر الأرناؤوط وطالب عواد، (بيروت و دمشق: دار ابن كثير، د.ت)، ١٥٩/١.

والإثم هو: اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، وقوله تعالى:﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[١] يعني في تناولهما إبطاء عن الخيرات[٢].

أما في الشرع، فقد يكونان أي الإثم والذنب بمعنى واحد، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ﴾[٣] قال القرطبي: قيل هما بمعنى واحد كرر لاختلاف اللفظ تأكيداً له، والخطيئة هي هنا الذنب، وقيل في تفسير الآية إن الخطيئة بمعنى الصغيرة، والإثم بمعنى الكبيرة[٤].

وقد يكونان – أي الإثم والذنب – متغايرين فيكون معنى الذنب المعصية، ومعنى الإثم ما يترتب عليها، فيقال: فلان أَثم بذنبه، ولهذا اختار الرسول ـ ﷺ ـ لفظة الإثم دون غيرها.

وعدي إلى الصدر الفعل حاك لأنه مقر اختبار الأخلاق والضمائر وما فيها من خير وشر، وليتميز ما في النفس، ويُدلل على ذلك قولهﷺ : (وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)، لأنه محل ذم وعيب، فتجدك مترددا فيه وتكره أن يطلع الناس عليك "وهذه الجملة إنما هي لمن كان قلبه صافيا سليما، فهذا هو الذي يحوك في صدره ما كان إثما ويكره أن يطلع عليه الناس.

أما المتمردون الخارجون عن طاعة الله الذين قست قلوبهم فهؤلاء لا يبالون، بل ربما يتبجحون بفعل المنكر والإثم، فالكلام هنا ليس عاما لكل أحد بل هو خاص لمن كان قلبه سليما طاهرا نقيا؛ فإنه إذا هم بإثم وإن لم يعلم أنه إثم من قِبل الشرع تجده مترددا يكره أن يطلع الناس عليه، وهذا ضابط وليس بقاعدة، أي علامة على الإثم في قلب المؤمن"[٥].

---

(١) سورة البقرة آية: ٢١٩.

(٢) مفردات غريب القرآن، مرجع سابق، ٦٣/١.

(٣) سورة النساء آية: ١١٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"،محمد بن بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، ط٢، ت: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، ٣٨٠/٥.

(٥) يُنظر: شرح الأربعين النووية، مرجع سابق ، ٢٦٨.

وبهذا يتضح دور ائتلاف اللفظ مع المعنى من خلال الإرداف أو "الكناية" في أداء المعنى كما أراده ـ ﷺ ـ حيث إن بلاغة هذا الأسلوب كان لها أكبر الأثر في إبراز القيمة البلاغية، ومدى تأثيرها في الأذهان والنفوس وهو الغاية من وراء ذلك كله.

المطلب الرابع: المثل

المثل في اللغة: يُقَالُ: مَثَلُ زَيْدٍ مَثَلُ فُلَانٍ، إنما المَثَل مأْخوذ مِنَ المِثال والحَذْو، والصفةُ تَحْلِية ونعتٌ. ويُقَالُ: تَمَثَّلَ فلانٌ ضَرَبَ مَثَلًا، وتَمَثَّلَ بالشَّيْءِ ضَرَبَهُ مَثَلًا[1]. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[2].

المثل، ما فرعه قدامة، من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وقال: هو أن يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ قريب من لفظه، وإنما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف، يصلح أن يكونه مثالًا للفظ المعنى المذكور، كقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[3]، وهذا المثل العظيم في غاية الإيجاز، والحقيقة، أي هلك من قضي هلاكه، ونجا من قدّرت نجاته، وما عدل عن اللفظ الخاص، إلى لفظ المثل، إلا لأمرين: أحدهما الاختصار لبلاغة الإيجاز، والثاني كون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع، ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص. إن التمثيل والاستعارة ضرب من التشبيه، ولكنهما بغير أداة. والتمثيل هو المماثل عند بعضهم، وذلك أن تمثل شيئًا بشيء فيه إشارة منه[4]، كقول امريء القيس:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلّا لِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[5]

(١) لسان العرب، مادة (م- ث – ل)، ٦١٢/١١.

(٢) سورة الحج آية: ٧٣.

(٣) سورة يوسف آية: ٤١.

(٤) يُنظر: خزانة الأدب، ٢٩٩/١.

(٥) ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر الكندي، ط٢، ت: عبد الرحمن المصطاوي، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤)، ٣٤.

فمثل عينيها بالسهمين، ومثل قلبه بأعشار الجزور معناه: ما بكيت إلا لتقدحي في قلبي كما يقدح القادح في الأعشار، فتمت له جهات التمثيل والاستعارة.

كما أن التمثيل ضرب من الاستعارة والتشبيه، وهو قريب من التذييل، ولكن بينهما فرق دقيق وهو خلو التذييل من التشبيه، وألحقوا بهذا الباب، أعني التمثيل، ما يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر(١)، ونستنتج من ذلك أنّ التشبيه عامٌّ والتمثيل أخصّ منه، فكل تمثيلٍ تشبيهٌ، وليس كلّ تشبيهٍ تمثيلاً(٢).

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) (٣).

هكذا ينبغي أن يكون شأن المسلم الحق، ليس مغلقًا على ذاته، لا ينظر إلا في مرآته، بل يسع قلبه الناس جميعاً، خاصة إخوانه المسلمين . وفي الحديث السابق جملة من المواعظ النبوية أبلغها للبشرية لتسعد في الدنيا والآخرة.

فقوله ﷺ: (وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) معناه: من كان عمله ناقصًا، لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي ألا يتكل على شرف النسب، وفضيلة الآباء، ويقصر في العمل.

---

(١) يُنظر: خزانة الأدب، ١/٣٠٠.

(٢) يُنظر: أسرار البلاغة ، ٩٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٤/٢٠٧٤.

فمن المعلوم أنَّ هناك خصلتين هما موضع مدح وثناء وهما: (الحسب، والنسب)، فالنسب يعود إلى آباء الرجل وقبيلته، والحسب فعاله الصالحة من الكرم والتقوى ونحوهما، فإذا كان الإنسان لايسارع في الصالحات والأفعال الحسنة، فلا يصل إلى مقام الثناء والمدح في حسبه بسرعة، ففيه حث على المبادرة إلى القيام بالأفعال الصالحة .

وقوله: "أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ" مجاز عقلي، حيث أسند الفعل (أَبْطَأَ) مبني للفاعل إل المفعول به وهو(عَمَلُهُ)، وملابسته المفعولية، وكذلك في قوله: "لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ "مجاز عقلي، حيث أسند الفعل (يُسْرِعْ)وهو مبني للفاعل إلى المفعول به وهو(حَسَبُهُ)، وملابسته المفعولية.

وهذا القول تداوله الناس فصار مضرب مثل حيث يضرب للحث على الإسراع بالأفعال الصالحة. وأَبْطأَ عَلَيْهِ الأَمْرُ: تَأَخَّرَ،وقد اختار الرسول الكريم أن يختم الحديث الشريف والذي تحدث فيه عن الأمور التي ترفع درجة العبد في الدنيا والآخرة، فختمه بهذه العبارة القيمة التي صارت مثلًا يُضرب لكل من يؤخر العمل الصالح ويعتمد على نسبه في أخذ المكانة المناسبة،حيث مثّل ﷺ من يؤخر عمله معتمدا على نسبه بحال من اعتمد على نسبه في قومه لأجل أن يكسب مكانة وقيمة فلم ينفعه نسبه ولم يرفعه، لأن الآخرة لا ينالها إلا من قدم العمل الصالح، لقد لاءمت الألفاظ المعنى الذي قصده الرسول ﷺ، وكان لأسلوب المثل دور كبير في أداء المعنى المراد إذ لولاه لما وضع المرء نفسه في ذلك الوضع المهين وما سيؤول إليه من سوء العاقبة، مما جعل هذه العبارة تهز كيان ذلك العبد ليسرع في العمل ويترك الاغترار بنسبه وقبيلته التي لا تساوي شيئا في ميزان الدين ما لم يكن للعمل الصالح دوره في استقرار حياته.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ –أَوْ: تَمْلَأُ– مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ

بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ عَلَيْك، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)[١].

فقوله ﷺ: (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا) أي فمن باعها بعمل صالح فقد أعتقها، ومن باعها بعمل سيء فقد أوبقها.[٢]

أي: كل الناس يبدأ يومه من الغدوة بالعمل، وهذا شيء مشاهد. فإن الله- تعالى- جعل الليل سكناً وقال :﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾[٣]، فهذا النوم الذي يكون في الليل هو وفاة صُغرى، تهدأ فيه الأعصاب، ويستريح فيه البدن، ويستجدُّ المرء نشاطه للعمل المقبل، ويستريح من العمل الماضي.

فإذا كان الصباح- وهو الغُدوةُ - سار الناس واتجهوا كلٌّ لعمله، فمنهم من يتجه إلى فعل الخير، وهم المسلمون، ومنهم من يتجه إلى فعل الشر، وهم الكفار .

فالمسلم باعها بيعًا يعتقها فيه؛ ولهذا قال: (فبائع نفسه فمعتقها)هذا قسم، (أو موبقها) معناها: بائع نفسه فمهلكها؛ وذلك أن الكافر يبدأ يومه بمعصية الله، لأنه يستعين بكل النعم على معصية الخالق .

وقد اختار الرسول _ﷺ_ أسلوب التمثيل لأداء المعنى، حيث مثَّل _ﷺ_من يفعل الطاعات والصالحات بمن يبيع نفسه لله ليعتقها وكأن النفس كانت مملوكة وعتقها كان بعمل الصالحات، كما مثَّل من يفعل المعاصي بحال من يُهلك نفسه ويوبقها أكثر فأكثر، فالكافر منذ أن يصبح وهو بائع نفسه فيما يهلكها، وهنا ينبغي على العبد أن يحدد موقفه تجاه الخير والشر بناء على ما سيؤول إليه مصيره . لذا لاءم أسلوب التمثيل الألفاظ والمعاني التي ساقها رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ١/ ٢٠٣.

(٢) ينظر: شرح الأربعين النووية، مرجع سابق، ٢٣٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٦٠

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (١).

إن من أعظم النصرة والحب للنبي ـ ﷺ ـ هو الإيمان به؛ واتباع ما جاء به من الهدى ودين الحق، واقتفاء سنته، ولزوم غرزه، والدعوة إلى ما جاء به من عند ربه تعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

قوله ﷺ: (عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)، أي تمسكوا بها كما يتمسك العاضُ على الشيء بجميع أضراسه، لو عَضَّ بقوة حينئذٍ يكون متمسكًا به، والنواجذ أقاصي الأسنان، هذا تمثيل،

أي تمسك بسنة النبي ﷺكما يتمسك العاض بأضراسه على شيءٍ يريد الحصول عليه، فحال ذلك العاض يتراءى أمامنا وهو ممسك الشيء بكلتا يديه وبقوة يعض عليه بأضراسه؛ خشية أن يسقط منه شيء أو أن يأخذه منه آخذ، ولاحظ أن كل تركيزه وانتباهه منصب على ما بين يديه وفكيه، حتى أنه قد أدخله إلى داخل فمه وعضه بأضراسه وليس بأسنانه، كل هذه المعاني وأكثر جاءت من عبارة موجزة حملت تلك المعاني، هذه الصورة هي التي أمر الرسول الكريم أمته بأن يحافظوا على سنته بكل ما أوتوا من قوة؛ لأنها ستغرس في العبد الثبات واليقين والتوازن في كل أمور حياته وهذا ما سينعكس على المجتمع في حال أن

(١) سنن الترمذي،كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ٥/٤٤،

(٢) سورة آل عمران: آية ٣٢

كل الأفراد امتثلوا لأمر الرسول ﷺ، وستكون السنة والشريعة الإسلامية صف الدفاع الأول أمام كل ما من شأنه أن يزعزع أركان الأمة.

وقد اختار الرسول ـﷺ ـكلمة "عَضُّوا" لأن العَضُّ :الشدُّ بالأَسنان عَلَى الشَّيْءِ[١]،وجاءت بصيغة الجمع للدلالة على أن الأمر مفروض على جميع الأمة كبارا وصغارا نساء ورجالا،بينما كلمة "تمسكوا" لا تعطي دلالة عميقة ككلمة "عضوا"، فالمسكك: مجرد الحبس[٢]، وستلاحظ أن كلمة عضوا تثير في الذهن الحركة والقوة والإصرار،كما اختار الرسول ـﷺ ـلفظ "النواجذ" لأَن العَضَّ بِالنَّوَاجِذِ عَضٌّ بِجَمِيعِ الْفَمِ أَواخِرُ الأَسنان، وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي بَعْدَ الأَنياب، فالرسول ﷺ اختار كلمة النواجذ لأنها القادرة على إيصال المعنى دون كلمة الأسنان التي قد تكون الأمامية والعض بها ليس بقوة الخلفية منها، نستنتج من العبارة السابقة أنه على الرغم من قصرها إلا أنها أدت معان كثيرة جعلت السامع يعيد فيها النظر أكثر من مرة ليصل إلى ما أراده الرسول ﷺ، فكان لأسلوب التمثيل دورا بارزا في ائتلاف اللفظ مع المعنى.

(١) لسان العرب، مادة " ع – ض– ض"، ١٨٨/٧.

(٢) المرجع السابق، ٤٨٧/١٠.

المطلب الخامس: الإشارة

في اللغة: أصل الإشارة من قولهم: شار العسل يشوره شورا وشيارا وشيارة ومشارا ومشارة: استخرجه من الوقبة واجتناه.

وقالوا: شار الدابة يشورها شورا: إذا عرضها لتباع، والشارة عند العرب والشورة: الهيئة واللباس[١]، ومنه الحديث (أن رجلا أتاه وعليه شارة حسنة)[٢] .واستنادا إلى استعمال العرب يلاحظ أن أصول مادة " شار " تدل على عدة معان منها: عرض الشيء، وإظهاره، والإيماء إليه.

وقد تطورت مادة " ش_و_ر " التي تحمل في ثناياها معنى إبداء الشيء وإظهاره وعرضه، من دلالة ظاهرية سطحية، تستند إلى هيئة الشيء وإلى دلالة باطنة عميقة تعتمد على ما في غور النفس ؛ فتعبر عنها، وتحكي مضامينها عن طريق الإشارة[٣] .

وجاء في الحديث (فدخل أبو هريرة فتشايره الناس)[٤] أي: اشتهروه بأبصارهم، كأنه من الشارة وهي الهيئة اللباس[٥].ونلاحظ أن الإشارة ترتقي من البصر إلى حركة الإصبع التي تحكي بإشارتها .وقد اكتسبت الإشارة آلية الكلام منذ عهود الإنسانية الأولى، أو ربما كانت مصاحبة له، وبناء عليه يظهر مصطلح الإشارة الذي يدل على الكلام، فالإشارة هي الإيماء عند المتقدمين،

يُقال: أشار إليه باليد أي أومأ، ويُقال: شوَّرت إليه بيدي وأشرت إليه أي لوّحت إليه[٦]. وَفِي الْحَدِيثِ:(كَانَ يُشِير في الصلاة)[٧].

---

(١) لسان العرب، مادة: (ش_و_ر)،٤/٤٣٤-٤٣٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، د.ط، ت: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، ٢/٥٠٨.

(٣) يُنظر: بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، سعيد أحمد جمعة، ط١، (الكويت: المنار، د.ت)٨٢.

(٤) يُنظر: النهاية،٢/٥١٨.

(٥)يُنظر: النهاية، ٢/٥٢٠.

(٦) لسان العرب،، مادة: (ش_و_ر)، ٤/٤٣٧.

(٧) ينظر: النهاية، ٢/٥١٨.

ولا يكاد الإنسان يستغني عنها، لأنها إن لم تكن وسيلة بيان فهي معينة عليه، ومنبهة إليه، فقد "دأب الوعاظ، والقصاصون أنهم يحركون أيديهم يميناً وشمالاً ينبهون السامعين على الاستماع ..."(١).

وقد لحظ شراح الحديث النبوي هذا الأمر فجعلوا له باباً خاصاً فتراهم يقولون مثلاً " باب الإشارة في الخطبة وباب الرجل يشير بيده وباب رفع اليدين علي المنبر ...الخ(٢). كل ذلك دليل ساطع على مكانة الإشارة في البيان العربي ودورها العظيم في أداء المعاني التي كانت محورا مهمًا في النصوص النبوية على وجه الخصوص.

ويُعد الجاحظ أول من لفت الأنظار إلى هذا النوع من البيان، وحدّ حدوده، وفصَّل أنواعه، وقال فيه ما لم يُسبق إليه . ويرى أن الإشارة منها الصواب، ومنها الخطأ، وأن ذلك مرجعه إلى توافق الإشارة مع اللفظ، أو تعارضها معه . فإذا وافقت الإشارة اللفظ صارت صحيحة، وتم للمراد أركانه، وصار المعنى بليغاً، ووصل إلى القلب في صورة بهية . أما إذا خالفت الإشارة اللفظ، فإن المعنى يكتنفه الغموض، ويلتبس على المتلقي المراد (٣). وهذا كلام صريح على أن البلاغة تكون في الإشارة كما تكون في الكلام.

وهنا لا تنكر الباحثة أن الأصل في البيان هو اللفظ، ولكنه ينبه على الوسائل الأخرى، ومن أعلاها الإشارة، فهي وإن لم تكن تستقل – غالباً – بالدلالة، فهي عون للفظ في البيان . وإذا توارى اللفظ لسبب أو لآخر برزت هي لتنوب عنه،لأنها رديفته،وتالية له في تصوير المراد(٤).

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داوود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ط٢، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م)، ٣١٨/٣.

(٢) يُنظر: بلاغة الإشارة، مرجع سابق، ٨٥.

(٣) يُنظر: البيان والتبيين، مرجع سابق، ٤٢.

(٤) يُنظر: بلاغة الإشارة، مرجع سابق، ٨٧.

يقول الجاحظ: "والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تُغني عن الخط. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب ألبتة"(١).

ويرى البعض أن الإشارة مع الكلام دليل العيّ، والعجز عن امتلاك اللفظ المعبر، وأن البليغ هو الذي يمتلك ناصية البيان، فإذا حرك يده، أو التفت بوجهه، أو غمز بعينه، أو نحو ذلك فإنما عجز عن اللفظ فاستدعى غيره ليفصح به عن مكنون صدره، وكان بعضهم يفاخر بأنه عند بيانه لا يحرك من جسده ساكناً، ولا يشغل سامعه بغير لفظه، ولذلك عدوا الإشارة عيباً وخروجاً عن دائرة البيان العالي . أما البلاغة التامة عندهم فهي أنْ تحمّل اللفظ كل ما تريد، وأنت ساكن الجوارح، وقد دلل الجاحظ على خطأ من ظن أن الإشارة عيّ، وأنها عجز عن الكلام، كما بين بعد ذلك أن من أكابر البلغاء من كان يُشير عند بيانه .

ومن ذلك نستنتج بأن الإشارة أبلغ من الصوت الذي هو أداة اللفظ، كما أن الإشارة ليست عياً، ولا نقصاً في المبين، بل هي من أدواته التي لا يستغني عنها، وإذا كان هؤلاء الذين استشهد بهم الجاحظ قد أشاروا عند بيانهم، فحسبنا أن رسول الله _ ﷺ_ كثيراً ما أشار عند بيانه .

ومع أن الجاحظ قد فصل هذا التفصيل، وأعطى الإشارة حقها في عالم البيان، وجعلها إحدى وسائله، بل هي النائبة عن اللفظ، والكاشفة عن مقداره، والمؤكدة له، والمعربة عن المعاني الخاصة، أو خاصة الخاصة .فعلى الرغم من هذا كله إلا أن أغلب من جاء بعده من علماء البيان وضعوا عنها هذا القدر، وجردوها من هذه المكانة، وأعادوها إلى اللفظ لتدور في فلكه، وصار مستقى دلالة الإشارة مأخوذاً من اللفظ، فتاهت الدلالة وانمحت معالمها، ولم نعد نفرق بينها وبين غيرها من الدلالات.

(١) يُنظر: البيان والتبيين، مرجع سابق،٦٤.

ولن أتمكن في هذه الجزئية من الاستقصاء، وإنما أردت فتح النوافذ على التراث العربي، الزاخر شعراً ونثراً،من خلال الإشارات المصاحبة له ؛ لأن ذلك سيكسبنا دلالات ومعاني لم نلتفت إليها كما يجب ؛ لقلة اهتمامنا بهذه الدلالة.

كما تبين أن الإشارة لا تقوى على حمل المعنى وحدها غالباً فالأصل أن تكون في صحبة اللفظ، ورديفة له[١]، أما إذا عجز اللسان فهي النائبة عنه، كما تبين أن للإشارة سياقات تكثر فيها، ومنها الأساليب الخبرية.

هذا بالإضافة إلى ظهور إمكانية الدلالة بالإشارة على علوم البلاغة المتنوعة، المعاني والبيان والبديع، وأنها لا تقتصر على لون دون لون.

ولا شك أن كل بيان يحمل صفات قائله، فالبيان القرآني يحمل كل كمال، وكل تنزيه وإحاطة، وكل ما يليق بالله تعالى من صفات.

وإذا كان الحكماء من البشر يملكون عبقرية البيان أعلاه، وأصفاه، وأحلاه، وأتقنه، وأرقاه، فما أبان أحد كبيان النبي- ﷺ -، فالبيان النبوي يقف شامخا على قمة البيان البشري، ولم لا وهو شعاع من بيان القرآن الكريم، بل هو المصاحب الأول لهذا البيان.[٢]

وللإشارة في بيان المعصوم _ﷺ_ مكانة مرموقة لا تقل عن مكانة اللفظ. ولقد حرص الرواة جميعاً حين سمعوا رسول الله عليه السلام يقول: " بلغوا عني " حرصوا على نقل هذا البيان كاملاً غير منقوص، بما فيه من لفظ وخط، وإشارة، وعقد وحال،لأنهم يعلمون أن هذه الوسائل ليست حشوا، أو كمّا مهملًا، بل لها دور في بناء المعنى، وتكوين الدلالات، وعسى أن يكون خلف الإشارة حكم، أو تكليف، أو وصية، أو نحو ذلك من تعاليم الدين، فيغيب عن الناس فيتحملوا وزره ؛ لأجل ذلك نقلوا إلينا كل شيء. فتسمعهم يقولون: قال رسول الله _ ﷺ_ كذا وأشار بالسبابة والوسطى، أو قال كذا وجمع بين أصابعه، أو شبك بين

(١) بلاغة الإشارة، مرجع سابق، ٩١.

(٢) المرجع السابق.

أصابعه، وتراهم يقولون: خط رسول الله خطوطاً في الأرض[1] .وفي ذلك دليل قاطع، وبرهان ساطع على منزلة هذه الوسائل البيانية في حمل المعنى المقصود إلى المتلقي. بل إنهم أطلقوا على الإشارة لفظ (القول): تسمعهم يقولون: قال بإصبعه كذا .

وستكشف الصفحات التالية بعضاً من علاقة البيان بالإشارة، وكيف تحمل حركة الجسد تشبيهاً أو توكيداً، أو غير ذلك من ألوان البلاغة، وكأن الإشارة فيها من علم المعاني والبيان والبديع .

الحديث الأول: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ:(لقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " حَتَّى بَلَغَ "يَعْمَلُونَ"، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْك أُمُّك وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ – أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ– إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!)[2].

إن منطق الإنسان ينبئ عما يتحلى به من صدق إيمان، وحياء جميل وكرامة خلق ومثل عليا، والمراد باللسان القول.

وينبغي على العاقل أن يحفظ لسانه ويتخير ألفاظه حتى لا يقع في المهالك. لأنه كما يستر الثوب الجسد كذلك اللسان يستر عقل الإنسان، وكثيرا ما تسببت فلتات اللسان في هلاك الإنسان، يقول ابن جبير: ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه

(١) بلاغة الإشارة، ٩٣.

(٢) سنن الترمذي، باب الجهاد، ١٢/٥.

كما يحفظ الجفن إنسانه. فرب كلمة تقال تحدث عثرات لا تقال. وكم كست فلتات الألسنة الحداد من ورائها ملابس الحداد.

ومعنى الألسنة الحداد. الكلام الشديد والتطاول على الناس والتكلم في أعراضهم. وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قول الله تعالى ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[١] أي آذوكم بكلام شديد، والسلق هو الأذى بسلاطة اللسان وبلاغته العالية[٢].

فقوله" فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ" إشارة إلى المحذوف وهو اللسان . فقد تأتي الإشارة لتدل على لفظ محذوف لكنه مراد في المعنى، وعدم التصريح بلفظ اللسان جاء بسبب الاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر، ولا شك أن للحذف مكانة عالية في البلاغة، ويكفي هنا ما ذكره الإمام عبد القاهر من أن الحذف " باب رقيق المسلك لطيف المأخذ،عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن" [٣]. وقد عمد رسول الله ـﷺ ـ إلى الإشارة عن المحذوف فكانت هذه الإشارة دليلا على اللفظ المحذوف، وقد حذف رسول الله ـﷺ ـ لفظ اللسان وفي ذلك دلالة على أن الإمساك عن الكلام هو الأمر المطلوب، فمتى ما أراد المرء أن يتكلم بالكلمة عليه أن يمسكها ويفكر فيها، ألخير تؤدي لينطقها أم لشر فيمسكها ؟ فعلى المرء أن يتحكم في لسانه لا أن يتحكم لسانه فيه ليقوده إلى التهلكة، وأرى أن في الإشارة إلى اللسان بالأخذ، فيه دلالة على أهمية حفظ اللسان لدرجة تفوق غيره، وعدم ترك الحرية له ليقول ما أراد لأن اللسان بمثابة مجمع الشر، ولذلك وضع الترمذي ـ رحمه الله ـ هذا الحديث تحت عنوان باب الجهاد وذلك لأن اللسان يحتاج إلى صبر ومصابرة لترويضه،ففيه جهاد للنفس وجهاد للعقل، فعلى الرغم من ضآلة حجم اللسان ورخاوته بالنسبة للأعضاء الأخرى إلا أنه يرتبط به مصير الإنسان في الدنيا والآخرة وهو المعول

(١) سورة الأحزاب: آية١٩.

(٢) تفسير ابن كثير، مرجع سابق،٦/٣٥٠.

(٣) دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ١٤٦.

عليه في كل شيء . وعليه فإن الحذف هنا لا يقل درجة عن الذكر لأن الإشارة نبهت على المحذوف، وزادته إيضاحاً فوق اللفظ. ولا شك أن في حذف اللفظ والاكتفاء بالإشارة التي تراها العين توكيداً للمعنى، كما أن في حذف لفظ " اللسان " تهويلاً وترهيباً من عواقبه، لأنه إما أن يرفع صاحبه إلى عليين، أو يهوي به إلى أسفل سافلين[1]، وقد أحسن رسول الله ـ ﷺ ـ اختيار أسلوب الإشارة للتنبيه على عظم تأثيره في حياة العبد الدنيوية والأخروية وهذا ما لن يحصل بغيرها من الأساليب البلاغية، مما كان لها بالغ الأثر في ائتلاف اللفظ مع المعنى.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)[2]

أما قوله: (وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا،) "هاهنا" اختصاص بالإشارة، الاختصاص في البلاغة العربية له أدواته المعروفة مثل" ما وإلا" ويمكن أن يضاف إلى ذلك الإشارة ؛ لأنها تصحب اللفظ فتخصص جزءه، أو نوعه، أو أفضله، أو أدناه. و اسم الإشارة " هنا " يدل على القرب، وقد تقدمها حرف التنبيه "ها" والغرض من ذلك تخصيص مكان التقوى في القلب، وأن الله وحده هو الذي يحكم على تقوى العباد وليس لأحد منهم فعل ذلك .

وقوله: (وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، هنا توكيد بالإشارة، لا شك أن توكيد المسند، أو المسند إليه إنما هو تقرير لكل منهما، وتحقيق لمفهومهما ؛ رغبة في جعله مستقراً محققاً ثابتاً بحيث لا يظن به غيره، والإشارة قامت بهذا الدور خير قيام في الحديث الشريف، وقد جاءت الإشارة في قوله "ويشير إلى صدره ثلاثا " مؤكدة للفظ، ومدعمة له، وكأن وصول المعنى إلى القلب عن طريق

(١) يُنظر: بلاغة الإشارة، مرجع سابق، ٩٤ و٩٥ .

(٢) صحيح مسلم،، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، ١٩٨٦/٤.

السمع لا يكفي، فأريد استصحاب طريق إضافي، فإذا وجد القلب أن المعنى قد وصله من طريقين مختلفين، وكل منهما يؤكد الآخر، فتح للمعنى الباب ليستقر فيه . فلا مانع من أن تؤازر الإشارة اللفظ في المعاني الشريفة، والمقامات العالية التي تحتاج إلى ألوان أخرى من المؤكدات سوى المؤكدات اللفظية،حتى تستقر النفوس، ويزول ما فيها من ريب. ولما كانت التقوى من الأمور التي يحتاج العبد إلى البت في أمرها وحتى لا يكون لأحد الحكم على الآخر في تقواه وأن مرد ذلك إلى الله وحده،

من هنا كان من الأولى إزالة هذا الشك من عند جميع الصحابة، فأكد النبي ﷺ كلامه بالإشارة، لتكون الإشارة توكيداً لا يبقى معه لبس أو شك . فالآذان هنا ستظل تذكر كلام النبي، والعيون كذلك ستظل ترى هذه الإشارة المصاحبة للفظ لتكون بياناً توكيدياً لها. [١]وقد كان لأسلوب الإشارة دورًا فاعلا في ائتلاف اللفظ مع المعنى.

الحديث الثالث: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، وَقَالَ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)[٢].

فقوله: " أخذ بمنكبي" هنا إشارة دلت على الانتباه والاختصار لمشاعر كثيرة كان يكنها رسول الله ﷺ لابن عمر ﷺ من محبة وإكرام واحترام وحنان الأبوة والعطف كل هذه المشاعر الجميلة اختصرها ﷺ بالتفاف يديه الكريمتين حول منكبي ابن عمر ﷺ وهذه الحركة فيها من القرب واللطف والاحتواء ما فيها وكذلك تدل على أن أمرًا مهمًا أراد الحبيب ﷺ أن يخبره لابن عمر ﷺ كما أن ذلك الالتفاف يجعل من ابن عمر حاضرًا بكل جوارحه وعلى قمة الاستعداد والانتباه ليستمع إلى ما أراده الحبيب ﷺ. وتلاحظ أن أسلوب الإشارة أدار دفة الحديث إلى معان كثيرة لها دور فعال في أداء المعنى على الوجه الذي قصده الرسول الكريم،مما كان له أكبر الأثر في ائتلاف اللفظ مع المعنى .

(١) يُنظر: بلاغة الإشارة، مرجع سابق،٩٧.

(٢) صحيح البخاري،باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب،، ٨٩/٨.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

-أن البلاغة وثيقة الصلة بالائتلاف؛ فوظيفة البلاغة هي وصف الطرق الخاصة في استعمال اللغة وتصنيف الأساليب بحسب تمكنها في التعبير عن الغرض تعبيرًا يتجاوز الإبلاغ إلى التأثير في المتكلم، والتأثير لا يحصل إلا بائتلاف الألفاظ والمعاني في جو من التوافق والانسجام بينهما.

- أن الحديث النبوي الشريف قائم على الائتلاف جملة وتفصيلًا ويُعد هذا أحد أسباب الإعجاز البياني في الحديث النبوي، كما يؤكد ذلك على القيمة الرفيعة لدور الائتلاف في الحديث.

-أن أي قالب نصي لابد أن يكون منطلقًا من ائتلاف الألفاظ والمعاني مع بعضهما البعض ليكونا قلعة محصنة تجاه النقص واللبس.

-أن تقسيم الائتلاف في هذا البحث إلى ثلاثة أوجه لا يعني الانفصال التام لكل منها عن الأوجه الأخرى، وإنما جاء التقسيم لغرض التسهيل وإلا فإن الائتلاف لا يتجزأ وإنما يُدرس كسلسلة متصلة حتى يجتمع له الكمال والبهاء، ودليل ذلك أنني كثيرًا ما وجدت في الحديث الواحد كل أوجه الائتلاف.

-أن ائتلاف اللفظ مع اللفظ يسمى السبك وهو يُعنى بالربط اللفظي[1]، فالنص عبارة عن وحدة تترابط أجزاؤها عن طريق أدوات ربط صريحة، فالسبك إذن يتعلق بالبنية الشكلية أو السطحية للنص، ويتم السبك عن طريق أدوات تعمل على تتابع الكلمات تتابعًا صحيحًا من الوجهة النحوية والمعجمية.

-أن ائتلاف المعنى مع المعنى يسمى الحبك وهو "ما دل عليه اللفظ في غير محل النطق، ويقابله المنطوق وهو ما دل عليه اللفظ في محل النطق "[1]. وتلك هي الصورة الذهنية التي يكوّنها العقل عن المفهوم، وبالتالي فإن الحبك هو عنصر معبر عن العلاقات الخطية الموجودة بين المعاني في النص.

---

(١) ايظر: نظرية علم النص، ص: ٧٨، ٧٩

(١) الإتقان، مرجع سابق،٣/٢٩٩.

– أن اختلاف البلاغيين في تقديم أو تأخير المساواة على الإطناب والإيجاز لا يُعد نقصًا من قيمة هذا الفن؛ لأن الأمر هنا عائد إلى حاجة النص إليه، ومن خلال النص يمكن تحديد ما يقع في مصلحته، فإذا كانت المساواة ففي هذه الحال يتفوق على الإطناب والإيجاز وإن حكم النص بغير ذلك تقدما على المساواة.

–أن الجناس يحمل عنصر المفاجأة، وخداع الأفكار، لأنه يوهم السامع أن اللفظ قد تكرر ولا فائدة سيجنيها من ذلك، ولكن سرعان ما يدرك ببديهته، وفكره أنه خُدِعَ، وأن اللفظ الآخر يحمل معنى آخر غير المعنى المتوقع، فيكون له أثر حسن في النفس، ووقع جميل في القلب .

–أن الكناية والإرداف شيئًا واحدًا؛ بدليل تعريفهما في الاصطلاح الذي يدور حول التعبير عن المعنى بلفظ هو ردفه وليس باللفظ الموضوع له في اللغة.

–أن المثل ضرب من الاستعارة والتشبيه، وهو قريب التذييل، ولكن بينهما فرق دقيق وهو خلو التذييل من التشبيه، وألحقوا بهذا الباب، أعني التمثيل، ما يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر.

–أن الإشارة أبلغ من الصوت الذي هو أداة اللفظ، كما أن الإشارة ليست عيًا، ولا نقصًا في المبين، بل هي من أدواته التي لا يستغني عنها، وإذا كان هؤلاء الذين استشهد بهم الجاحظ قد أشاروا عند بيانهم، فحسبنا أ ن رسول الله ـ ﷺ ـ كثيراً ما أشار عند بيانه .

–مما سبق يتضح أن الفيصل في دراسة الأساليب البلاغية للوصول إلى قيمتها إنما يكون عن طريق التطبيق والتحليل القائم على أحد الطرق التحليلية مما يكفل للباحث نتائج فعالة.

المراجع

أولا الكتب:

١. الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية،زين الدين محمد بن زين العارفين المناوي، د.ط، ت: عبد القادر الأرناؤوط وطالب عواد، (بيروت و دمشق: دار ابن كثير، د.ت).

٢. الأربعون النووية، محيي الدين يحيبن شرف النووي، ط١، ت: قصي محمد الحلاق و أنور الشيخي، (بيروت: دار المنهاج، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٣. أساليب الأداء البياني والبديعي في شعر مجنون ليلى، هدى عسكر، مجلة الأستاذ، العدد ١٤٣٣،٢٠٣ه-٢٠١٢م.

٤. الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ط١، ت: سالم محمد عطا و محمد علي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠).

٥. أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ط، ت: محمود محمد شاكر،(القاهرة مطبعة المدني، وجدة: دار المدني،...).

٦. أسلوب النداء في القرآن الكريم خصائصه وأسراره البلاغية، أحمد إبراهيم فريد أبو سالم، ط١، (الكويت: دار الشروق، ١٩٨٩م).

٧. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي، (القاهرة: دار الحديث، د.ت).

٨. إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني، ط٥، ت: أحمد صقر، (مصر: دار المعارف، ١٩٩٧م).

٩. الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، محمد توفيق، د.ط، د.ت.

١٠. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد كمال الدين الأنباري، ط١،(القاهرة: المكتبة العصرية، ١٤٢٤ه - ٢٠٠٣م).

١١. أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني، د.ط، (القاهرة: مؤسسة الرسالة، د.ت).

١٢. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ط٣، ت: محمد خفاجي، (بيروت: دار الجيل، د.ت).

١٣. بحث من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف، نعم هاشم الجماس، مجلة التربية والعلم، المجلد(١٧)،العدد(٣)، ٢٠١٠م..

١٤. بديع القرآن،عبد العظيم بن أبي الإصبع، د.ط، ت: حفني محمد شرف، (مصر:

النهضة، د.ت).
١٥. البديع، عبدالله بن محمد المعتز بالله، ط١،(بيروت: دار الجيل،١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
١٦. البديع في نقد الشعر، مجد الدين أسامة بن منقذ، ت: أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، (الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة،د.ت).
١٧. بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، سعيد أحمد جمعة، ط١، (الكويت: المنار، د.ت).
١٨. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، ط١، (دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
١٩. البلاغة وقضايا المشترك اللفظي، عبد الواح حسن الشيخ، مؤسسة شباب الجامعة،١٩٨٦م.
٢٠. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، د.ط، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
٢١. تاج العروس محمد مرتضى الزبيدي،ت: إبراهيم الترزي،مطبعة دار إحياء التراث العربي، (بيروت)،١٩٧٤م.
٢٢. تاج العروس من جواهر القاموس،الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ت: مجموعة من المحققين، (القاهرة: دار الهداية، د.ت).
٢٣. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع، ت: حفني محمد شرف، د.ط، (الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت)،١٩٤.
٢٤. التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، مالك المطلبي، د.ط، (دمشق: دار التقوى، د.ت).
٢٥. تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد شمس الدين المنبجي، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
٢٦. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: جماعة من العلماء ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
٢٧. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير البصري، ط١، ت: محمد حسين شمس الدين،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩م).
٢٨. تفسير تيسير الكريم المنان، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن اللويحق،

(مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م).
٢٩. تفسير غريب الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن الأزدي، ط١، ت: زبيدة محمد سعيد، (القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٣٠. التلخيص في وجوه البلاغة، جلال الدين القزويني، ط١، ت: عبد الرحمن البرقوقي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٠٤م).
٣١. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، ط١، ت: عبد القادر الأرناؤوط و بشير عيون، (مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان،د.ت).
٣٢. جامع العلوم والحكم في شرح ٥٠ حديثًا من جوامع الكلم،زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ط٧، ت: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
٣٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت:محمد زهير بن ناصر الناصر،الناشر:دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي(ط:الأولى، ١٤٢٢هـعدد الأجزاء٩).
٣٤. الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"،محمد بن بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، ط٢، ت: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
٣٥. حبك النص، محمد العبد، بحث منشور في "فصول،(مجلة)، العدد(٥٩) ربيع ٢٠٠٢: م ٦٢، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن.
٣٦. الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط٥، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الجيل ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
٣٧. خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين بن علي بن حجة الحموي، ط الأخيرة، ت: عصام شقيو، (بيروت: دار ومكتبة الهلال و دار البحار، ٢٠٤م)
٣٨. الخصائص، عثمان بن جني الموصلي، ط٤، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
٣٩. دراسة تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثره البلاغي،عبد الله علي الهتاري، د.ط، (الرياض: دار طيبة، ٢٠٠٠)،.
٤٠. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس،ط٥، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م) .

٤١. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ط٣، ت: محمود شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني وجدة: دار المدني ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
٤٢. ديوان الفرزدق، همام بن غالب التميمي، د.ط، د.ت.
٤٣. ديوان الهذليين، الشعراء الهذليين، د.ط، ت: أحمد الزين و محمود أبو الوفا، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).
٤٤. ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر الكندي، ط٢، ت: عبد الرحمن المصطاوي، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤)،.
٤٥. ديوان ذي الرمة، ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، ط١، تحقيق: محمد بن أحمد بسج، (بيروت: دار الكتب العالمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
٤٦. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الخلوتي، د.ط، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
٤٧. رياض الصالحين، محيي الدين بن يحي بن شرف النووي، د.ط، ت: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت).
٤٨. الساق على الساق فيما هو الترياق، أحمد بن فارس بن يوسف الشدياق، د.ط، د.ت.
٤٩. السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، ط٢، ت: شوقي ضيف، (مصر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ).
٥٠. سر الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، ط١، (مصر: دار الكتب العلمية، ١٣٠٢هـ - ١٩٨٢م).
٥١. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد(ت:محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر :دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء 2: ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج وهو متن مرتبط بشرح (السيوطي وآخرين) وبشرح السندي.
٥٢. سنن أبي داود، :أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ (ت :محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر :المكتبة العصرية، صيدا - بيروت،عدد الأجزاء ٤ .
٥٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)ت: أحمد محمد شاكر جـ ١، ٢، ومحمد فؤاد عبد الباقي جـ ٣، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف جـ ٤، ٥)،الناشر:شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،ط الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
٥٤. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ(ت :محمد عبد القادر عطا،الناشر :دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط :الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٥٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط٣، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).
٥٦. شرح الشفا، علي بن سلطان محمد القاري، (دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ه).
٥٧. الشرح المختصر على نظم الآجرومية، أحمد بن عمر الحازمي، دروس صوتية مفرّغة.
٥٨. شرح تنقيح الفصول، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ت: طه عبد الرؤوف سعد، ط١، (شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٣٩٣ه – ١٩٧٣م).
٥٩. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفار عطا، (بيروت–لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
٦٠. الصناعتين، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، د.ط، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،(بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩).
٦١. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة بن علي العلوي، ط ١، (بيروت: المكتبة العصرية،١٤٢٣هـ)
٦٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الحسن بن رشيق القيرواني، ط٥، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م).
٦٣. عون المعبود شرح سنن أبي داوود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ط٢، ت: عبد الرحمن محمد عثمان،(المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م).
٦٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجرالعسقلاني، د.ط، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن باز، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
٦٥. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد الرحمن الشايع، ط١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).
٦٦. الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن، شمس الدين محمد بن القيم، دار مكتبة الهلال،(بيروت–لبنان)،١٩٨٧م.
٦٧. الفوائد، محمد بن قيم الجوزية، ط١،(بيروت:دار الكتب العلمية،١٣٩٣هـ–١٩٧٣م).

٦٨. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، (القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة،ط٣، ١٩٦٥م).
٦٩. قانون البلاغة في نقد الأدب والشعر، محمد بن حيدر البغدادي، د.ط، ت: محسن غياض عجيل، (بيروت: مؤسسة الرسالة د.ت).
٧٠. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، ط١، (بيروت: دار النهضة العربية١٩٧٩م).
٧١. قواعد الشعر، أحمد بن يحي بن سيار الشيباني، ط٢، ت: رمضان عبد التواب،
٧٢. (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٥م).
٧٣. الكافي في العروض والقوافي، يحي بن علي بن محمد التبريزي، د.ط، ت: الحساني حسن عبد الله، (بيروت: مؤسسة عالم المعرفة،د.ت).
٧٤. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه، ط٣، ت: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ - ١٩ ٨٨م).
٧٥. كتاب العين،الفراهيدي، الخليل بن أحمد،د.ط، ت: مهدي مخزوم و إبراهيم السامرائي،(بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
٧٦. كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب،ضياء الدين بن الأثير،ط١، ت: نوري القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي، (دبي: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث،د.ت).
٧٧. الكليات،أيوب الكفوي،فهرسة: عدنان المصري، ط:١،(القاهرة، مؤسسة الرسالة،١٤١٢ه-١٩٩٢م).
٧٨. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي،، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
٧٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد،د.ط، ت: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت).
٨٠. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة،ط٢(حلب مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ١٤٠٦ ه- ١٩٨٦م عدد الأجزاء8) .
٨١. المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، د.ط، ت: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، د.ت).
٨٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف :أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال

بن أسد الشيباني(ت :شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف :د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١،(القاهرة: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م).
٨٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت: محمد فؤاد عبد الباقي)(بيروت: دار إحياء التراث العربي،عدد الأجزاء :٥).
٨٤. المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا، توفيق محمد شاهين،د.ط،(القاهرة: مكتبة وهبة،د.ت.
٨٥. المشترك اللفظي عند القدماء والمحدثين دراسة نظرية وتطبيقية، فاطمة لطفي،د.ط، (الكويت:مؤسسة المعرفة،١٩٩٩م).
٨٦. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، ط٣، ت: عبد الحميد الهنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ).
٨٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).
٨٨. معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة،ط٣،(جدة: دار المنارة، الرياض،دار الرفاعي،١٤٠٨ه–١٩٨٨م).
٨٩. معجم الفروق اللغوية، الحسن بنعبد الله بن سهل العسكري، ط١، ت: بيت الله بيات، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ).
٩٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ط٢،(بيروت: مكتبة لبنان،٢٠٠٧م).
٩١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، د.ط، ت: عبد السلام هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).
٩٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن هشام، ط٦، ت: مازن المبارك و محمد علي، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م).
٩٣. مفتاح العلوم، يوسف لن أبي بكر بن محمد السكاكي، ط٢، ت: نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).
٩٤. المفردات في غريب القرآن الكريم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط١، ت: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ١٤١٢).
٩٥. مقاييس اللغة،أحمد بن فارس، ت:عبد السلام هارون،ط٣، (دمشق: مطبعة

مصطفى الحلبي،١٣٩٢ه-١٩٧٢).
٩٦. موسوعة الأخلاق و الزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
٩٧. ندوة بعنوان جماليات فن الجمع من خلال آيات الذكر الحكيم دراسة بلاغية، غالب محمد محمود الشاويش، ندوة الدراسات البلاغية،الواقع والمأمول،١٤٢٤ه.
٩٨. نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي، ط١، (القسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢).
٩٩. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، ط١، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ١٤٢٣هـ).
١٠٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، د.ط، ت: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م).
١٠١. والأدوات النحوية،صلاح الدين الزعبلاوي،مجلة التراث، العدد٥٣.والشرط والقسم، صلاح الزعبلاوي،مجلة التراث، العدد: ٥٠،اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

ثانياً: الرسائل العلمية:

١٠٢. أسلوب الشرط في نهج البلاغة" دراسة نحوية تطبيقية"،يسرى خلف سمير، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، كلية الآداب،١٤٣٠هـ.
١٠٣. رسالة الدكتوراة بعنوان التكرار المعنوي في القرآن الكريم(دراسة أسلوبية دلالية)، يحي محمد المهدي،١٤٢٦ه_٢٠٠٥م.
١٠٤. رسالة دكتوراه خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ه،١٩٩٢م.
١٠٥. رسالة ماجستير بعنوان الشرط في القرآن الكريم، عبد العزيز المعيبد،جامعة أم القرى،١٣٩٦ه،١٩٧٦م.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

١٠٦. الشرح الميسر لقواعد الأصول ومعاقد الفصول، أحمد بن عمر الحازمي،دروس صوتية قام بتفريغها موقع عمر الحازمي.
١٠٧. محمود حسن عمر،١٢/٥/١٤٣٦ه،مقالة من فنون البديع، مجلة المعرفة،السنة العاشرة،العدد٢٩، ١٤٢٤ه،٢٤٣.
http://www.alukah.net/literature_language/0/83257/#_ftn1
١٠٨. مقالة تأثير اقتران الحروف في دلالة النفي، زياد أبو رجائي، (٢٠١٢م)، معهد اللغة العربية، النتاج العلمي والأدبي، ٢٠١٥/٨/١٤م من موقع:
http://aburajai.blogspot.com/2012_03_01_archive.html

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٥٣٠٥
٢-	Abstract	٥٣٠٦
٣-	المقدمة	٥٣٠٧
٤-	المبحث الأول: الائتلاف وقيمته البلاغية:.	٥٣١٣
٥-	المبحث الثاني: نبذة عن الأربعين النووية	٥٣١٩
٦-	المبحث الثالث: ائتلاف اللفظ مع المعنى، ويشتمل على خمسة مطالب:	٥٣٢٢
٧-	المطلب الأول: المساواة	٥٣٢٢
٨-	المطلب الثاني: الجناس	٥٣٣٨
٩-	المطلب الثالث: الإرداف	٥٣٤٧
١٠-	المطلب الرابع: المثل	٥٣٥٦
١١-	المطلب الخامس: الإشارة	٥٣٦٢
١٢-	الخاتمة	٥٣٧٠
١٣-	المراجع	٥٣٧٣
١٤-	فهرس الموضوعات	٥٣٨٠

تم بحمد الله